الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٥ — ١٣ ابريل سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 145.

Lundi-13-4-1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٤٥ «القاهرة في يوم الأثنين ٢١ محرم سنة ١٣٥٥ — ١٣ أبريل سنة ١٩٣٦» السنة الرابعة

فهرس العـــدد

اللغة والدين والعادات

باعتبارها من مقومات الاستقلال

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ليست حقيقةُ الأمة في هذا الظاهرِ الذي يبدو من شعبٍ مجتمع محكوم بقوانينه وأوضاعه؛ ولكن تلك الحقيقة هي الكائنُ الروحيُّ المكتَنُّ في الشعب، الخالصُ له من طبيعته، المقصورُ عليه في تركيبه؛ كعصير الشجرة لا يُرى عملُه والشجرةُ كلُّها هي عملُه

وهذا الكائن الروحي هو الصورةُ الكبرى للنسب في ذوي الوشيجة من الأفراد، بيد أنه يحقق في الشعب قرابة الصفات بعضها من بعض؛ فيجعل للأمة شأن الأسرة، ويخلق في الوطن معنى الدار، ويوجد في الاختلاف نزعة التشابه، ويردُّ المتعددَ إلى طبيعة الوحدة، ويبدع للأمة شخصيتها المتميزة، ويوجب لهذه الشخصية بإزاء غيرها قانونَ التناصر والحميَّة؛ إذ يجعل الخواطر مشتركة، والدواعي مستوية، والنوازع متآزرة، فتجتمع الأمة كلها على الرأي: تتساند له بقواها، ويشد بعضها بعضاً فيه. وبهذا كله يكون روح الأمة قد وضع في كلمة الأمة معناها

... القومى الذى ينشئه للأمة كائنُها الروحى ، هو المبادئ ... من أثر الدين واللغة والعادات ، وهو قانون نافذ يستمد ... ونه من نفسه ، إذ يعمل فى الحيِّز الباطن من وراء الشعور ، متسلطا على الفكر ، مصرّفاً لبواعث النفس ؛ فهو وحده الذى يملأ الحى بنوع حياته ، وهو طابع الزمن على الأمم ، وكأنه على التحقيق وضعُ الأجداد علامتهم الخاصة على ذريتهم

* * *

أما اللغة فهى صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجودا متميزا قائماً بخصائصه ؛ فهى قومية الفكر ، تتحد بها الأمة فى صور التفكير وأساليبِ أخذ المعنى من المادة . والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى أهلها ؛ وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث فى الأسباب والعلل ؛ وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فان روح الاستعباد ضيق لا يتسع ، ودأبه فى المستعبَدين لزومُ الكلمة والكلمات القليلة

وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها ، متسعة فيها ، مكبرة شأنها ، فما يأتى ذلك إلا من روح التسلط فى شعبها ، والمطابقةِ بين طبيعته وعملِ طبيعته ، وكونه سيد أمره ، ومحققَ وجوده ، ومستعمل قوته ، والآخذ بحقه . فأما إذا كان منه التراخى والاهمال ، وترك اللغة للطبيعة السوقية ، وإصغار أمرها ، وتهوين خطرها ، وإيثار غيرها بالحب والاكبار ؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابعٌ لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ، مجتزِئٌ ببعض حقه ، مكتفٍ بضرورات العيش ، يوضع لحكمه القانون الذى أكثره للحرمان وأقله للفائدة التى هى كالحرمان

لا جرم كانت لغةُ الأمة هى الهدف الأول للمستعمرين ؛ فان يتحول الشعب أوّلَ ما يتحوّلُ إلا من لغته ؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله ، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسبِ ماضيه ، ورجعت قوميتُه صورة محفوظة فى التاريخ ، لا صورة محقَّقة فى وجوده . فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ؛ حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة ، ونشأ الثانى على أخرى ، والثالث على لغة ثالثة ، لكانوا فى العاطفة كأبناء ثلاثة آباء

وما ذلّت لغةُ شعب إلا ذلّ ، ولا انحطت إلا كان أمره فى ذهاب وإدبار . ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغتَه فرضاً على الأمة المستعمرة ، ويركبهم بها ، ويُشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقهم من ناحيتها ؛ فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة فى عمل واحد : أما الأول فحبسُ لغتهم فى لغته سجناً مؤبداً ؛ وأما الثانى فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً ؛ وأما الثالث فتقييدُ مستقبلهم فى الأغلال التى يصنعها ؛ فأمرهم من بعدها لأمره تَبَع

والذين يتعلّقون اللغاتِ الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية مستحكمة من قِبَل الدين أو القومية . فتراهم إذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ، ويتبرأون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بأنفسهم الكراهةُ للغتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم وأشياء قومهم ؛ فلا يستطيع وطنهم أن يوحى اليهم أسرار روحه ؛ إذ لا يوافق منهم استجابةً فى الطبيعة ، وينقادون بالحب لغيره فيتجاوزونه وهم فيه ، ويرثون دماءَهم من أهلهم ثم تكون العواطف فى هذه الدماء للأجنبي ؛ ومن ثمّ تصبح عندهم قيمةُ الأشياء بمصدرها لا بنفسها ، وبالخيال المتوهَّم فيها لا بالحقيقة التى تحملها ، فيكون شيء الأجنبي فى مذهبهم أجلَّ وأثمن لأن اليه الميلَ وفيه الاكبارُ والاعظام ، وقد يكون الوطنى مثلَه أو أجمل منه بيد أنه فقد الميلَ ، فضعفت صلتُه بالنفس ، فعادت كل مميِّزاته لا تميِّزه

وأعجبُ من هذا فى أمرهم ، أن أشياء الأجنبي لا تحمل معانيها الساحرةَ فى نفوسهم إلا إذا بقيت حاملةَ أسمائها الأجنبية ، فان سمّى الأجنبىُّ بلغتهم القوميّة نقص معناه عندهم وتصاغر وظهرت فيه ذلة . . . وما ذاك إلا صِغَر نفوسهم وذلّها ، إذ لا ينتخون لقوميتهم فلا يأمهم الحرفُ من لغتهم ما يأمهم الحرف الأجنبي

والشرق مبتلى بهذه العلة ، ومنها جاءت مشاكله أو أكثرها ؛ وليس فى العالم أمةٌ عزيزةُ الجانب تقدم لغة غيرها على لغة

نفسها ، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موضعاً إلا من وراء حدود الأشياء الوطنية ؛ ولو أخذنا نحن الشرقيين بهذا ، لكان هذا وحده علاجاً حاسماً لأكثر مشاكلنا

فاللغات تتنازع القومية ، ولَهيَ والله احتلالٌ عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها ؛ وإذا هانت اللغة القومية على أهلها ، أثّرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثّر الجوُّ الأجنبي في الجسم الذي انتقل اليه وأقام فيه

أما إذا قويت العصبية ، وعزّت اللغة ، وثارت لها الحَميَّة ؛ فلن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمةً يُرتَفَق بها ، ويرجع شِبْر الأجنبي شبراً لا متراً . . . . وتكون تلك العصبيةُ للغة القومية مادةً وعوناً لكل ماهو قومي ؛ فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبة ، هي قوة الايمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن ؛ ومتى تعيّن الأولُ أنه الأولُ ، فكلُ قوى الوجود لا تجعل الذي بعده شيئاً إلا أنه الثاني

* * *

والدينُ هو حقيقةُ الخلُق الاجتماعي في الأمة ، وهو الذي يجعل القلوب كلها طبقةً واحدةً على اختلاف المظاهر الاجتماعية عاليةً ونازلة وما بينهما ، فهو بذلك الضمير القانوني للشعب ، وبه لا بغيره ثباتُ الأمة على فضائلها النفسية ، وفيه لا في سواه معنى إنسانية القلب

ولهذا كان الدينُ من أقوى الوسائل التي يُعوّل عليها في إيقاظ ضمير الأمة ، وتنبيه روحها ، واهتياج خيالها ؛ إذ فيه أعظمُ السُّلطة التي لها وحدها قوة الغلبة على الماديات . فسلطان الدين هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته ؛ ومتى قوى هذا السلطان في شعب ، كان حَمِيّاً أبيّاً ، لا تُرغمه قوة ، ولا يعنو للقهر

ولولا التديّن بالشريعة ، لما استقامت الطاعة للقانون في النفس ؛ ولولا الطاعة النفسية للقوانين ، لما انتظمت أمة ؛ فليس عمل الدين إلا تحديد مكان الحي في فضائل الحياة ، وتعيينَ تَبِعته في حقوقها وواجباتها ، وجعْلَ ذلك كلِّه نظاماً مستقراً فيه لا يتغير ، ودفعَ الانسان بهذا النظام نحو الأكمل ، ودائماً نحو الأكمل

وكل أمة ضعف الدينُ فيها ، اختلّت هندستها الاجتماعية ، وماج بعضها في بعض ؛ فإن من دقيق الحكمة في هذا الدين أنه لم يجعل الغايةَ الأخيرةَ من الحياة في هذه الأرض ؛ وذلك لتنتظم الغايات الأرضية في الناس ؛ فلا يأكل بعضهم بعضاً ، فيغتني الغنيُّ وهو آمن ، ويفتقر الفقير وهو قانع ، ويكون ثواب الأعلى في أن يعود على الأسفل بالبرّ ، وثوابُ الأسفل في أن يصبر على ترك الأعلى في منزلته ؛ ثم ينصرف الجميع بفضائلهم الى تحقيق الغاية الالـهية الواحدة ، التي لا يكبر عليها الكبير ، ولا يصغر عنها الصغير ؛ وهي الحق ، والصلاح ، والخير ، والتعاون على البر والتقوى

ومادام عملُ الدين هو تكوين الخلق الثابت الدائب في عمله ، المعتز بقوته ، المطمئن الى صبره ، النافر من الضعف ، الأبيّ على الذل ، الكافر بالاستعباد ، المؤمن بالموت في المدافعة عن حَوْزته ، المجْزِيّ بتساميه وبَذْله وعطفه وإيثاره ومفاداته ، العامل في مصلحة الجماعة ، المقيّد في منافعه بواجباته نحو الناس — ما دام عمل الدين هو تكوين هذا الخلق — فيكون الدين في حقيقته هو جعْل الحس بالشريعة أقوى من الحس بالمادة ؛ ولعمري ما يجد الاستقلال قوةً هي أقوى له وأردُّ عليه من هذا المعنى إذا تقرّر في نفوس الأمة وانطبعت عليه

وهذه الأمة الدينية التي يكون واجبها أن تَشرُف وتسود وتعتزّ ، يكون واجب هذا الواجب فيها ألاّ تسقط ولا تخضع ولا تذل

وبتلك الأصول العظيمة التي ينشئها الدين الصحيح القوى في النفس ، يتهيأ النجاح السياسي للشعب المحافظ عليه المنتصر له ؛ إذ يكون من الخلال الطبيعية في زعمائه ورجاله ، الثباتُ على النزعة السياسية ، والصلابة في الحق ، والايمان بمجد العمل ، وتغليب ذلك على الأحوال المادية التي تعترض ذا الرأي لتفتنه عن رأيه ومذهبه : من مال ، أو جاه ، أو منصب ، أو موافقة الهوى ، أو خشية النقمة ، أو خوف الوعيد ، إلى غيرها من كل ما يستميل به الباطلُ أو يُرهب به الظلم

ولا يذهبن عنك أن الرجل المؤمن ، القوي الايمان ، المتلئ ثقة ويقيناً ووفاءً وصدقاً وعزماً وإصراراً على فضيلته وثباتاً على ما يأتي في سبيلها — لا يكون رجلاً كالناس ؛ بل هو رجل الاستقلال الذي واجبه جزء من طبيعته وغايته السامية لا تنفصل عنه ، هو رجلُ صدْق المبدإ ، وصدق الكلمة ، وصدق الأمل ، وصدق

النزعة : ... الرجل الذى ينفجر فى التاريخ كما احتاجت الحياة

الى إطلاق قنابلها للنصر

***

والعادات هى الماضى الذى يعيش فى الحاضر ، وهى وحدة تاريخية فى الشعب ؛ تجمعه كما يجمعه الأصل الواحد ؛ ثم هى كالدين فى قيامها على أساس أدبى فى النفس ، وفى اشتمالها على التحريم والتحليل ؛ وتكاد عادات الشعب تكون ديناً ضيقاً خاصاً به ، يحصره فى قبيله ووطنه ، ويحقق فى أفراده الألفةَ والتشابك ، ويأخذهم جميعاً بمذهب واحد : هو إجلال الماضى

وإجلال الماضى فى كل شعب تاريخى ، هو الوسيلة الروحية التى يستوحى بها الشعبُ أبطالَه ، وفلاسفته ، وعلماءه ، وأدباءه ، وأهلَ الفنّ منه ؛ فيوحون اليه وحتى عظائمهم التى لم يغلبها الموت ؛ وبهذا تكون صورهم العظيمة حيّةً فى تاريخه ، وحيّةً فى آماله وأعصابه

والعادات هى وحدها التى تجعل الوطن شيئاً نفسيّاً حقيقياً ؛ حتى ليشعر الانسان أن لأرضه أمومةَ الأم التى ولدته ، ولقومه أبوة الأب الذى جاء به إلى الحياة . وليس يعرف هذا إلا من اغترب عن وطنه ، وخالط غير قومه ، واستوحش من غير عاداته ؛ فهناك ُهناك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبروت كأنه وحده هو الدنيا

وهذه الطبيعة الناشئة فى النفس من أثر العادات هى التى تنبه فى الوطنى روحَ التميز عن الأجنبى ، وتوحشُ نفسه منه كأنها حاسّة الأرض تنبه أهلها وتنذرهم الخطر

ومتى صدقت الوطنيــة فى النفس ، أقرّت كلَّ شىء أجنبى فى حقيقته الأجنبية ؛ فكان هذا هو أولَ مظاهر الاستقلال ، وكان أقوى الذرائع إلى المجد الوطنى

***

وباللغة والدين والعادات ، ينحصر الشعب فى ذاته السامية بخصائصها ومقوّماتها ؛ فلا يسهل انتزاعُه منها ولا انتساقُه من تاريخه ؛ وإذا أُلجئ إلى حال من القهر ، لم ينخذل ولم يتضعضع ، واستمر يعمل ما تعمله الشوكة الحادة : إن لم تترك لنفسها ، لم تعط من نفسها إلا الوَخْز ... ...

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

٢ - النهضات القومية العامة*

فى أوربا وفى الشرق

للدكتور عبد الرزاق السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

وإذا كانت حركة الرابطة الوطنية بقيت قوية عنيفة فى أوروبا طوال القرن التاسع عشر كما قدمنا ، فان هذه الحركة قد اقترنت بها حركة رابطة الجنس ، ولم تتعارض الحركتان . فان الوطن الفرنسى والوطن الايطالى والوطن الاسبانى ، وغير هــذه من الأوطان اللاتينية ترعرعت واشتدت ولم تتعارض مع الجامعة اللاتينية ؛ على أن اتفاق رابطــة الوطن مع رابطة الجنس يظهر رائماً أخاذاً إذا انتقلنا إلى الشعوب الجرمانية ؛ فكل شعب له وطنه ؛ وكثيراً ما حاربت بروسـيا فى الماضى دولاً أخرى جرمانية ؛ وكثيراً ما حاربت النمسا وانتصرت عليها ، ومع كل ذلك فان الشعوب الجرمانية لا ينسيها الاغراق فى وطنيتها أنها تنتسب جميعاً إلى جنس واحــد ، وأن دماً واحداً يجرى فى عروق الجميع

على أن ائتلاف رابطة الوطن مع رابطة الجنس يختلف قوة وضعفاً . فالرابطتان أضعف ما تــكونان ائتلافاً إذا كانت رابطة الوطن قوية متماسكة ، تستطيع القيام على رجليها دون حاجة إلى معين ؛ والمثل لذلك الوطن الفرنسى والوطن الايطالى ، والرابطتان أقوى ما تــكونان ائتلافاً إذا ضــعف وطن ، فيستمسك بوطن آخر قوى من جنسه ، كما هو الحال بين النمسا وألمانيا ، وكذلك إذا كان كل وطن ضعيفاً بذاته قوياً باجتماعه مع الأوطان الأخرى من جنسه ، كما هو الحال بين الأقطار العربية ؛ وأخيراً إذا اندمجت جنسيات متعددة فى أمبراطورية واحــدة ، ثم أخذت هذه الأمبراطورية المصطنعة فى الانحلال ، فان حركة الجنسيات تقوى فى هذه الحالة ، وتتمخض عن حركات استقلالية ، كما وقع هذا الأمر للأمبراطورية النمسوية وللأمبراطورية العثمانية

* بقية المحاضرة الأولى من سلســلة المحاضرات التى ألقاها الأستاذ السنهورى فى مدينة بغداد فى بهو أمانة العاصمة فى ٢٣ مارس سنة ٩٣٦

وقد آن لنا أن ننتقل إلى المرحلة الثالثة فى النهضات القومية الأوروبية ، وهى المرحلة الحاضرة ، وقد بدأت منذ فجر القرن العشرين ، وبنوع خاص بعد الحرب الكبرى

٣ — الوقت الحاضر : رابطة الوطن والجنس ورابطة الطبقات

نشهد فى الوقت الحاضر فى أوروبا صراعاً عنيفاً ما بين رابطتين ، وكفاحاً مستعراً ما بين نظامين من نظم الحكم . أما الرابطتان فاحداها رابطة الوطن وتعززها رابطة الجنس ، والثانية رابطة الطبقات أو الحركة الاشتراكية . وأما النظامان فأحدهما هو النظام الديمقراطى ، والآخر هو النظام الدكتاتورى

وما بنا أن نعنى بحركة ضعيفة ولدت عرجاء بعد أن تمخضت عنها آلام الانسانية من أهوال الحرب الكبرى ، وتلك هى رابطة البشرية ، تنتظم بنى البشر كافة فى جامعة واحدة ، يسمونها اليوم بعصبة الأمم . فان رابطة البشرية هذه لا تزال وليداً بين الحياة والموت ، فلندع لها بالبقاء ولنتركها جانباً

ولنستعرض الكفاح الذى نشهده الآن فى أوروبا بين رابطة الوطن ورابطة الطبقات

ليس هذا الكفاح وليد القرن العشرين ، بل هو قد بدأ منذ القرن التاسع عشر ، وقد تعقبنا أصوله فى لمحة سريعة عند ما كنا نتكلم فى تقدم الصناعات الكبرى الذى قوى هاتين الرابطتين المتناقضتين . والآن نعرض لهذا الكفاح فى شىء من التفصيل ، فنتكلم فى الاشتراكية وقد قامت على رابطة الطبقات ، ثم نتكلم فى الفاشية والنازية ، وقد قامت الأولى على رابطة الوطن والأخرى على رابطة الجنس

١ — الاشتراكية

بدأت الاشتراكية تتأصل جذورها فى أوروبا منذ القرن التاسع عشر . وقد نبتت فى تلك التربة الصناعية التى سبق لنا ذكرها ، إذ كثر عدد الطبقات العاملة ، واستغلهم أصحاب رؤوس الأموال استغلالاً تأباه الانسانية . فوجدت الاشتراكية جواً صالحاً تترعرع فيه وتزدهر . على أن المذهب الاشتراكى لم يكن وليد القرن التاسع عشر ، فهو مذهب قديم ، يمكن أن نرجع أصوله إلى أفلاطون الفيلسوف اليونانى المعروف ، وقد كان يقول بالشيوعية فى الملكية وفى الأسرة ، ووضع كتابه «الجمهورية» يؤيد فيه هذا المذهب . وقام فى أوائل القرن السادس عشر توماس مورا يقول بالشيوعية فى المال دون الأسرة ، فى كتابه « جزيرة أتوبيا » . ولكن الاشتراكية لم تأخذ شكلاً علمياً منظماً إلا بقلم زعيمها الأكبر كارل ماركس نبى الاشتراكية فى أواسط القرن التاسع عشر

والاشتراكية فلسفة علمية ولها خطط عملية . أما فلسفتها فنظرة مادية إلى وقائع التاريخ ، وتفسير هذه الوقائع تفسيراً اقتصادياً محضا . وهذا ما يسمى عادة بالمادية التاريخية أو بالتفسير الاقتصادى للتاريخ . أما خططها العملية فقد انقسم أنصارها بالنسبة لها إلى فريقين : فريق معتدل يقول بالعمل فى الدائرة الدستورية ، والوصول إلى الحكم من طريق النظم النيابية المشروعة ، أى اتخاذ الديمقراطية وسيلة لتحقيق الحكومة الاشتراكية . وفريق متطرف يقول بعدم الجدوى من كل هذه الخطط ، ولا بد من الثورة والانتقاض على الديمقراطية الرأسمالية وهد أركان النظام النيابى ، والاستيلاء على الحكم بالقوة ، حتى تتحقق الحكومة الاشتراكية . وكان كارل ماركس قد أسس الدولية الأولى فى سنة ١٨٦٤ فى لندن ، حتى يجمع شتات العمال من جميع أطراف العالم . ثم لما انقسم أشياعه إلى الفريقين المتقدمى الذكر ، أسس الفريق المعتدل الدولية الثانية ، وأسس الفريق المتطرف الدولية الثالثة ، وهى دولية موسكو المعروفة

وأقول لكم كلمة موجزة عن المادية التاريخية أو التفسير الاقتصادى للتاريخ ، حتى نتفهم المذهب الاشتراكى من ناحيته الفلسفية . تتلخص هذه المادية التاريخية فى فكرة جوهرية ، هى أن الحاجات المادية للانسان والعوامل الاقتصادية التى تحيط به هى التى تسيّر التاريخ وتكيّف الحوادث . وكل حوادث التاريخ ومراحله المتعاقبة لا يمكن تفسيرها إلا تفسيراً اقتصادياً ؛ وليس للانسانية إلا تاريخ واحد ، هو تاريخها الاقتصادى المادى ؛ أما الدين ، وأما الأخلاق ، وأما المثل العليا ، وأما العظمة والبطولة ، فكل هذا شىء مرده إلى المادة ، تحكمه وتسيطر عليه . فالمذهب الاشتراكى ينظر إلى الحياة كوحدة لا تقبل التجزئة وهى وحدة المادة لحمتها وسداها

وإ... فكرة الوحدة المادية للحياة توجد فكرة الحتمية ، ...سير لا مخير ؛ وكل ما يقع فى العالم من حوادث هو من ... الانسان ، ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعاً ، فلا اختيار له فيه ولا إرادة . ويقول لنا انجلز شريك ماركس فى تأسيس المذهب الاشتراكى الحديث : لا تظنوا أن الحركات الفكرية الكبرى التى تظهر من وقت لآخر هى وليدة أفكارنا ، بل هى وليدة الظروف الاقتصادية الملابسة ، كان لا بد من وجودها فوجدت ، وسخر لها أناس يقولون بها . ولو أن مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية لم يوجد لوجد لوثر آخر يدعو إلى ما دعا اليه لوثر الأول . وماركس نفسه ، إذا كان قد قال بالمادية التاريخية فذلك لأنها فكرة ولدتها ظروف البيئة الاقتصادية ، وكان حتما أن يقول بها رجل أراد القدر أن يكون ماركس . وأبطال التاريخ يولدون كما تولد الحركات الفكرية الكبرى ، تنشئهم الظروف الاقتصادية ؛ فنابليون وكرومويل وقيصر وغيرهم من عظماء التاريخ جاءوا فى الساعة التى كانوا لا بد أن يجيئوا فيها ، ولو لم يجيئوا هم بالذات لجاء غيرهم ، فيتغير الاسم ويبقى الرجل . وكل عصر له أبطاله ، إذا لم يجدهم عفواً فانه يخلقهم خلقاً . وإذا لم توجد البطولة الحق فى الرجل الزعيم ، فان حاجات الوقت المادية والمصالح الاقتصادية تنفخ فيه روح بطولة مصطنعة وتجعل منه رجل الساعة . هذا هو رأى انجلز فى البطولة والأبطال

فالعظمة ليست إذن إلا صنع الجيل وبنت البيئة . أما العوامل الحقيقية التى تصنع التاريخ صنعاً ، فليست هى بطولة العظماء ، إنما هى القوات الاقتصادية ، تبدأ فى تغيير الفكر البشرى ، ثم تدفعه إلى الأمام . وهكذا يرتبط الفكر بالعمل ، ويسوق ذاك إلى هذا . ومصدر كل من الفكر والعمل إنما هو العامل الاقتصادى ، مثل ذلك تقدم الصناعات الكبرى وتكدس رؤوس الأموال . هذا هو العامل الاقتصادى الذى يحكم العالم فى العصر الحاضر . وقد أوجد هـذا العامل طبقة أصحاب رؤوس الأموال ، أو البورجوازية ، قوية مسيطرة على أقدار العالم . ولكن هذا العامل الاقتصادى نفسه أوجد أيضاً طبقة العمال تستغلهم البورجوازية وتسلبهم ثمرة جهودهم . هذا الوضع الاقتصادى هو الذى أوجد حركة فكرية عند طبقة العمال ، وقد شعروا بالظلم يحيق بهم . وهذه الحركة الفكرية هى التى تدفعهم إلى العمل . فالعامل الاقتصادى هو الذى أوجد البورجوازية ، والبورجوازية هى التى أوجدت العمال ، والعمال هم الذين سيهدمون البورجوازية . وقد كتب كارل ماركس فى منشوره المشهور إلى الحزب الاشتراكى سنة ١٨٤٨ : « إن البورجوازية لم يقتصروا على صنع الأسلحة التى ستقتلهم ، بل هم هيأوا أيضاً الرجال الذين سيضربون بهذه الأسلحة »

فقيام البورجوازية وسيطرتهم على العالم الاقتصادى ، وسقوطهم بعد ذلك على يد العمال ، كل هذه حوادث تدفع اليها الانسانية دفعاً من طريق العوامل الاقتصادية ؛ فالرجال إذن مسخرون ، علموا أو لم يعلموا ، لخدمة حاجات اقتصادية اقتضتها البيئة التى يعيشون فيها ، وهم يظنون أنهم يعملون لأغراض مادية . فلوثر مثلاً كان يعتقد أنه يعمل لمجد المسيح ، والواقع من الأمر أن ثورته لم تكن إلا سداً لحاجة البورجوازية الألمانية التى كانت تستغلها الكنيسة الرومانية . وليس الرجال فى نشاطهم بوجه عام إلا ممثلين لطبقات اقتصادية ، يجيبون نداءها ، ويسدون حاجتها . اسمعوا ما يقوله كارل ماركس فى كتابه « بؤس الفلسفة » رداً على ما كتبه برودون فى كتابه « فلسفة البؤس » : « إن الروابط الاجتماعية متصلة اتصالاً وثيقاً بقوات الانتاج ، فالناس إذا حصلوا على قوات منتجة جديدة يغيرون طرق الانتاج ، وإذا غـيروا طرق الانتاج وغيروا كذلك نظام كسبهم للعيش فقد غيروا فى جميع روابطهم الاجتماعية . هذه هى طاحونة الهواء تنبت وسطاً أقطاعياً يسوده النبلاء . أما الطاحونة التى تدور بالبخار ، فتنبت وسطاً صناعياً يسوده أصحاب رؤوس الأموال . ونفس الرجال الذين يقيمون روابطهم الاجتماعية على مقتضى الطرق المادية للانتاج هم الذين يصوغون أيضاً المبادئ والأفكار والحدود وفقاً لروابطهم الاجتماعية »

فالعوامل الاقتصادية التى تصنع التاريخ فى رأى ماركس وانجلز هى وسائل الانتاج ، يضاف اليها وسائل النقل وتداول الثروة والبيئة الجغرافية التى تقوم فيها هذه العوامل الاقتصادية

وكل هذه العوامل الاقتصادية تدور حول نقطة واحدة ، هى الكفاح ما بين الطبقات . فالكفاح ما بين الطبقات يسود جميع النظم الاجتماعية : يسود النظام السياسى ، وما تاريخ الحكومة إلا تاريخ نضال مستمر ما بين طبقة وأخرى تتداول

السيادة والسلطان ؛ يسود النظام القانونى ، وما القانون إلا صورة منعكسة من وسائل الانتاج الاقتصادى ، وهو لم يوجد إلا لحماية المصالح الاقتصادية ، أى حماية مصالح الطبقة السائدة ؛ يسود الدين والفلسفة والأدب والأخلاق ، وإذا لم يكن الأصل فى هذا كله عاملاً اقتصادياً فان هذه العوامل الأدبية تتطور بعد نشوئها وفقاً للحاجات الاقتصادية ولمصالح المتغلب من الطبقات

ثم ينتقل ماركس وانجلز من بسط النظرية إلى تطبيقها على الحوادث التاريخية . فعندهما أن النظام الاقطاعى هو الذى خلق العصور الوسطى تسود فيها طبقة النبلاء ، وأن نظام الصناعة الكبرى هو الذى خلق العصور الحديثة تسود فيها طبقة البورجوازية ، وأن الكارثة لا بد واقعة : والكارثة لفظ له مدلوله فى إنجيل الاشتراكية ، فالاشتراكيون يتربصون الدوائر بالبورجوازية ، ويترقبون الوقت الذى سيحين لانتقال محتم إلى عصر جديد تحل فيه الكارثة بالبورجوازية على يد العمال

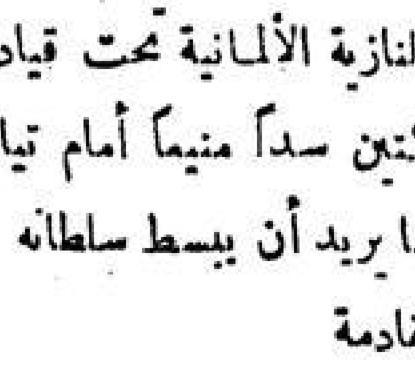
فماركس يستغل إذن نظريته فى المادية التاريخية ليخدم بها مذهبه الاشتراكى ، فينادى بالكفاح ما بين الطبقات ، ويحاول أن يوحد العمال فى جميع أنحاء العالم ، ويشنها حرباً زبوناً بين بنى الانسانية جمعاء ، حرباً تقوم لا بين وطن ووطن ، ولا بين جنس وجنس ، بل بين طبقة وطبقة : بين البورجوازية والعمال ، فتسقط البورجوازية ويسود العمال

ونحن لا نعرض بنقد أو بتحبيذ للمذهب الاشتراكى ونقتصر على أن نستخلص مما قدمناه أن هناك نزعة فى أوروبا وجدت منذ القرن التاسع عشر وقالت برابطة الطبقات ، وعارضت الروابط المبنية على الوطن والجنس ، واعتبرت العمال فى جميع الأوطان ومن جميع الأجناس إخواناً متآلفين . وهم جميعاً خصوم للبورجوازية فى جميع الأوطان ومن جميع الأجناس . وقد أخذت هذه النزعة تشتد شيئاً فشيئاً طوال القرن التاسع عشر ، ثم دخلت فى دور عملى حاسم أثناء الحرب الكبرى ، حيث قامت البلشفية فى الروسيا ، وأصبحت الاشتراكية مذهباً عملياً لنظام قائم من الحكم ، أقامه لينين على أنقاض القيصرية ، بعد أن اقتلعها واجتثها من أصولها . وأوجد انقلاب سنة ١٩١٧ النظام السوفييتى فى الروسيا فى ظروف معروفة ، ولا يزال هذا النظام قائماً فى الروسيا حتى الآن

ويذكرنا القرن العشرون ، بالنسبة لقيام الاشتراكية وانتشارها فى العالم برغم مقاومة الحكومات لها بالقرن التاسع عشر ، بالنسبة لقيام الحركات الوطنية وانتشارها فى أوروبا برغم مقاومة الحكومات الرجعية لها . والشبه غريب بين الحرب الكبرى وحروب نابليون ، وبين مؤتمر فرساي المحافظ ومؤتمر فينا الرجعى

على أننا نريد أن نبسط الحقائق كاملة ، فليس من الدقة فى شىء أن نقول إن الاشتراكية بقيت وحدها فى الميدان ، بل يجب أن نفتح أعيننا على ما يجرى الآن أمامنا من صراع عنيف بين الاشتراكية والوطنية . فان الحركات القائمة على رابطة الوطن ورابطة الجنس لم تخمد جذوتها فى أوروبا ، بل هى قد زادت اشتعالاً . وكأن حرب الطبقات التى شهرتها البلشفية فى وجه العالم ، تلك الحروب الشعواء التى أذكى نارها العمال ثم صاروا لها وقوداً ، وهم يريدون من ورائها أن يبسطوا سلطانهم ، وأن يحكموا بالسيف والنار ، تلك الحرب المنيفة القاسية قد استفزت دعاة الوطنية فى أوروبا وألبتهم فوقفوا صفوفاً متراصة أمام هذا العدو المشترك . ووقعت الواقعة ، ونشب عراك دموى بين دعاة الاشتراكية ودعاة الوطنية ، وانضوى دعاة الوطنية فى أقوى مظهر من جهادهم تحت لواء حركتين مشهورتين : هما الفاشية الإيطالية تحت قيادة موسولينى ، والنازية الألمانية تحت قيادة هتلر . ووقف كل من هاتين الحركتين سداً منيعاً أمام تيار البلشفية الجارف ، ووقف كل منهما يريد أن يبسط سلطانه . ونرجىء الكلام فيهما إلى المحاضرة القادمة

عبد الرزاق السنهوري


بالمعرض ... بالمدينة ...
مخازن البن البرازيلى
٦٠٣٧

صور من القرن الثامن عشر

٢ - جاكومو كازانوفا

جوّاب مجتمع ومغامر مسرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قضى كازانوفا صباه وفتوته الأولى محروماً من عطف والديه ، يجوز حياة مضطربة ، ويتقلب بين شظف العيش ورفاهته ، ويلقى بنفسه المضطرمة إلى غمار من اللهو والادمان والخلاعة ، ويلتمس متاع الحياة بأي الوسائل . وكان يرى الحياة لهواً ولعباً ، ولكن الحياة الناعمة تتطلب الرزق الوفير ، ولا بد أن يجد كازانوفا لنفسه وسائل الارتزاق . وكانت المقامرة يومئذ رذيلة المجتمع الرفيع ، ولكنها كانت أيضاً ملاذ المقامرين من كل ضرب ، يلتمسون بها الرزق والثراء ؛ وكازانوفا مقامر بارع ، فلم لا ينزل إلى هذا الميدان ؟ وبسم له الحظ في المقامرة ، وانتظم في سلك المقامرين المحترفين الذين يستحلون كل الوسائل للكسب أو للسرقة المستترة ؛ ورأى فوق ذلك أن يتشح بثوب الخفاء ، وأن يحترف الشعوذة وكشف الأسرار ؛ وكانت الأذهان يومئذ تشغف بالخفي والمجهول ، وكان كازانوفا يجيد هذا الضرب من الشعوذة ، وقد رأيناه يتخذه سبيلا لتمكين نفوذه لدى صديقه وحاميه الجديد السيد براجادين .

وهكذا نزل كازانوفا إلى ميدان المغامرة مسلحاً بأسلحة العصر ، يلتمس الرزق من طريق المقامرة ، ويلتمس النفوذ من طريق الشعوذة ، ومن ورائه عصبة من الأصدقاء الأقوياء الذين يخلبهم بروائه وظرفه وشعوذته ؛ وكانت هذه الحياة في نظر المغامر هي المثلى ، وكان يرى المجتمع من حوله موبوءاً يموج رذيلة وفساداً ، ويرى الشرف والكرامة والنزاهة وكل ما إليها كلمات جوفاء لا يتحلى بها أرفع من يسودون المجتمع من امراء وأحبار وسادة ، فكيف يطلب اليه هو أن يخضع حياته لمثل هذه الأباطيل ؟

وكان كازانوفا ينزل يومئذ عند السيد براجادين كما رأينا ، ويعيش منعما مرفهاً ، يقضي أيامه في لهو ولعب ونزه وغزل لا ينقطع ، يجوب شوارع البندقية المائية في قاربه الوثير ، ويتسقط مواعيد الحب كل مساء . وكانت المرأة عنده غاية الغايات ، وكان الحب فنه ومهنته التي كأنه فطر عليها بطبيعته وخلاله وعواطفه ، وكان مسلحاً لهذه الغاية بأخص الصفات التي تذلل له غزو القلوب ، فقد كان بديع القد والتكوين ، وسيم الطلعة ، ذا سمرة جذابة ؛ وكانت عيناه الواسعتان تشعان سحرا وذكاء وشهوة ؛ وكان ذا شخصية جذابة ، حلو الحديث والشمائل ، جواداً ، جم الأدب والظرف ، يضطرم حباً وجوى ؛ وكانت له فراسة خاصة في تفهم عقلية المرأة وميولها ؛ وكان ظفره المتوالي في الحب يذكي عزائمه ورغباته ، ويدفعه دائماً إلى البحث عن غزوات جديدة ؛ وكان يشعر شيئاً فشيئاً أن البندقية لم يبق فيها ما يمكن أن يغزو وأن يستمرئ ، وأن ايطاليا كلها قد غدت تضيق بجولاته ومغامراته ؛ وكانت فرنسا تجذبه يومئذ بشهرتها وروعة الحياة الساطعة التي يحياها المجتمع الرفيع فيها ؛ وسرعان ما سنحت له الفرصة لتحقيق أمنيته ، فسافر إلى باريس ليخوض غمار هذه الحياة الساطعة ، وكان يومئذ في نحو السادسة والعشرين

وكان المجتمع الفرنسي ، ينحدر يومئذ ، في عهد لويس الخامس عشر ، إلى نوع من الحول الباهر ، ويستمرئ حياة عاطلة من المثل المعنوية الرفيعة ، فياضة بالرغبات والشهوات الوضيعة ؛ وكانت دولة الغانيات ، من أمثال دوباري وبومبادور هي صاحبة الحول والسلطان يومئذ ؛ وكان يلتف حول هذا الملك الخليع بلاط وضيع الخلال ، يضرب بتهتكه وانحلاله للمجتمع الرفيع أسوأ المثل ؛ وكانت حياة هذا المجتمع — مجتمع النبلاء والسادة — كلها لهو ولعب وحب وغزل وفساد ورياء ؛ فالى هذا المجتمع الباهر الخامل معاً هبط كازانوفا يبحث عن طالعه في عالم الحب ؛ وهنالك تعرف منذ مقدمه بمواطنه الممثل الشهير ماريو باليتي وزوجته سلفيا ، وكانا يومئذ من أعلام مسرح « الكوميديا الايطالية » ؛ فعلمه شيئاً من اللغة الفرنسية ، وعرفه بكثير من الشخصيات البارزة من رجال ونساء ؛ واندفع كازانوفا

إلى هذا العالم الجديد يتذوق مسراته ، ويتابع غزواته النسائية بين الممثلات والراقصات وسيدات المجتمع الرفيع ؛ وهو يذكر لنا فى مذكراته التى نشير اليها فيما بعد ، طائفة من أسماء هؤلاء اللائى ظفر بهن فى تلك الفترة مثل ميمى ابنة السيدة التى نزل عندها ، والآنسة فزيان وهى فتاة أجنبية زائرة ، ولويزون مورفى الشهيرة التى أدخلت « حريم » لويس الخامس عشر فيما بعد ، والآنسة سنت هيلير ، وسيلفيا زوجة صديقه ، وغيرهن ؛ واستطاع كازانوفا فى نفس الوقت أن يتذوق طرفاً من الحياة الأدبية ، وأن يتصل ببعض كبار الأدباء والكتاب مثل فونتينل ودلامبير والأب فوازنون ومدام دى بوكاج ، وأن ينظم بعض القصائد ، وأن يترجم بعض القطع والرسائل

وعاد كازانوفا إلى البندقية (سنة ١٧٥٣) وقد فاضت نفسه غبطة وزهوا بما تذوق من صنوف اللهو الرفيع ، وما حقق لنفسه من ظفر فى ميدان الحب ، وبدت له البندقية عندئذ ضيقة متواضعة ، بالنسبة لما رأى وشهد فى باريس ؛ وذكت أطماعه وأمانيه ، وزاد غروراً وترفعاً واستهتاراً ، وأخذ ينظر إلى هذا المجتمع البندقى من عل ، ويتصل بالكبراء والسفراء ولا سيما سفير فرنسا الأب دى برنى ؛ ولم يكن كازانوفا متحفظاً فى أقواله أو أعماله . فكان يطلق العنان لآرائه المتطرفة ، ويزاول الشعوذة علناً ، وكان يثير على نفسه السخط فى كل ناحية ، وكانت علائقه الغرامية موضع الحديث ومثار النقمة ؛ وكان ثمة جماعة من النبلاء والكبراء الذين يضايقهم بلسانه ومنافساته الغرامية يتربصون الفرص لسحقه ؛ وكان من هؤلاء كبير من كبراء الدولة هو « الشيخ » كوندلر النائب العام ؛ وكان لهذا الشيخ القوى صاحبة تدعى مدام زورزى سطا عليها كازانوفا وانتزعها منه ، فاعتزم التنكيل به ، وأطلق فى أثره جواسيس الشرطة يقدمون عنه التقارير القاذفة ، وفيها أنه يتصل بالسفراء الأجانب بعلائق مريبة ، ويخدع البسطاء بمزاعمه السحرية ، ويعيش على نفقة الغير ، ويغوى البنات والنساء المتزوجات ، ويسخر من الدين ، وينتمى إلى البناء الحر (الماسونية) ، وغير ذلك من التهم الخطيرة التى تكفى لادانته وإهلاكه

وعلى أثر ذلك قررت محكمة التحقيق (التفتيش) اعتقال المتهم ، وفى فجر ٢٦ يوليه سنة ١٧٥٥ ذهب مدير الشرطة مع ثلة من رجاله الى منزل كازانوفا واعتقله ، وأخذه مصفداً الى قصر الدوجات ؛ وهنالك ألقى به الى السجن المواجه فى غرفة لا هواء فيها ولا نور تعمرها الجرذان والحشرات المختلفة ، وتكاد لانخفاضها تقصر عن ايواء قامته المديدة ؛ وفى الحادى والعشرين من أغسطس قضت محكمة التفتيش بادانته فى التهم التى نسبت اليه ولا سيما الطعن فى الدين ، وقضت بسجنه خمسة أعوام فى سجن « الرصاص » الشهير (بيومبى) وهو الذى اعتقل فيه . وقضى كازانوفا أيامه الأولى فى السجن فى ذهول ويأس يكاد يمزقه الغيظ والكمد ، وكان منقطع الصلة بالعالم الخارجى ، لا يعرف شيئاً عن سبب اعتقاله أو مداه ؛ وكان يؤمل بادىء ذى بدء أن يسترد حريته بسرعة بمؤازرة بعض أصدقائه الأقوياء ، ولكن الشهور تعاقبت عليه دون أن ينفذ الى وكره المظلم شعاع من الأمل ، وأعقب الصيف الخريف ثم تعاقبت الفصول ، عندئذ ترك اليأس جانباً ، واستعاد عزمه وقوة نفسه ، وعول على الفرار ؛ ومازال يعمل فى خفاء وصمت ، ويغالب الصعاب والرقابة الصارمة حتى نضج مشروعه . وفى ليل اليوم الأول من نوفمبر ، فر كازانوفا مع شريكه وجاره فى السجن الأب بالبى ، وذلك بأن خرقا عرش الغرفة الرصاصى ، واستطاعا بعد مجهود عنيف مروع أن ينحدرا من جدران القصر الى ميدان القديس مرقص ، واستقلا زورقاً حملهما فى جوف الظلام بعيداً عن مواطن الخطر ؛ ولم يأمن كازانوفا على نفسه حتى جاز حدود البندقية الى أرض بورجو دى فالزجانو المجاورة ، وبذلك أمن شر مطارديه واستطاع أن يتنفس نسيم الحرية مرة أخرى

* * *

وتركت تلك المحنة فى نفس كازانوفا أعمق الأثر ، وكان قد جاوز الثلاثين يومئذ ، واستحالت لديه نزعات الحداثة الى نوع من التفكير المتزن ، وأخذت الأطماع والأمانى تغلب على نفسه ، وتخضع لديه نزواته المضطرمة ؛ وكان همه دائماً أن يغزو المجتمع الرفيع ، ولكن غزو المجتمع الرفيع يقتضى مالا ومغامرة ؛ وكان المجتمع الباريزى الذى عرفه حيناً وتذوق فيه لذة الظفر والأمل يجذبه دائماً ويلوح له بأعظم الأمانى ؛ ولهذا نراه فى باريس فى يناير

سنة ١٧٥٧ يبحث عن طالعه كرة أخرى ؛ وكان صديقه وحاميه القديم السيد براجادين يمده بمرتب حسن ، وكان صديقه الأب دى برنى سفير فرنسا السابق فى البندقية قد عاد الى فرنسا ، وتولى وزارة الخارجية ، فتقدم اليه يطلب عونه ، فأوصى به بعض كبراء الدولة ؛ وكانت المشكلة المالية أهم ما يشغل فرنسا يومئذ وفى سبيل حلها تقدم أغرب المشاريع والاقتراحات . وكان من بين المشاريع التى وضعت لايجاد بعض المال أن تصدر الدولة « أوراق يانصيب » يغطى إيرادها نفقات المدرسة الحربية التى أنشئت يومئذ لتخريج ضباط للجيش الفرنسى ؛ وكان يضطلع بالشروع اخوان ايطاليان يدعوان كالسابيجى ، فاتصل كازانوفا بذوى النفوذ والمشرفين على العمل ، وكان يتمتع فى ذلك الميدان ببعض الخبرة ويقدم عن المشروع آراءه وملاحظاته ، فرؤى أن يعين مديرا للمشروع بمرتب ضخم وعمولة حسنة ، وصدر بالمشروع قرار وزارى فى أكتوبر سنة ١٧٥٧

وهكذا تبوأ كازانوفا منصباً خطيراً مربحا يحقق له تلك الحياة الناعمة المستقلة التى طالما طمح اليها ، واتخذ له مسكناً فخماً فى ضاحية سان دنى يموج بالنعم والحشم . وأقبل الناس على شراء أوراق اليانصيب الحكومية إقبالاً حسنا ؛ ووقع السحب الأول فى ابريل من العام التالى وأسفر عن نتائج مرضية ؛ ثم وقع مراراً خلال العامين التاليين ، وظفرت المدرسة الحربية بكل النفقات اللازمة ؛ وحقق كازانوفا لنفسه ربحاً وفيراً يقال إنه بلغ مائة ألف فى العام ، هذا عدا ما كان يربحه من أعمال التنجيم والشعوذة التى لم ينقطع عن مزاولتها ؛ وعهد اليه أثناء ذلك ببعض المهام الرسمية السرية فأداها بنجاح ؛ وعهد اليه أيضاً بمهمة مالية فى هولنده فأسفرت عن نتائج مرضية ؛ وهكذا ذاع اسمه وتوطد مركزه ، وزاد ثراؤه ، وشعر لأول مرة فى حياته بأنه غدا الرجل الذى طمح أن يغدو ، ينثر الذهب من حوله بلاحساب ، ويحقق لنفسه أعز الرغبات والأهواء والأمانى

واتخذ كازانوفا لنفسه خارج باريس مسكناً آخر غير مسكنه الباريسى أنيقاً وثيراً به حاشية باهرة ، وخيل مطهمة ، وهنالك كان يقضى معظم أوقاته فى متاع ومرح ، يطلق لنفسه عنان الهوى والحب ، ويستمرئ غزواته النسائية بلا انقطاع ؛ وكان كازانوفا يعشق الحياة الفخمة ، ويتعلق بمظاهر العظمة والأناقة ، ولكنه لبث دائماً ذلك المحب النهم الذى تغلب لديه الغرائز الوضيعة ، والذى يسعى إلى إرضاء شهواته المضطرمة بأى الوسائل ، وفى أى الظروف والمناسبات

وانفق كازانوفا فى باريس بضعة أعوام فى عيش طروب خفض يغزو جميع القلوب ، وينعم بوصل السيدات والغانيات من كل ضرب ويزاول التنجيم والشعوذة ؛ وكان يتسمى عندئذ بالشفاليه دى سنجال ، أو الشفالييه سنجال دى فاروزى ، ويبهر الناس بروعة مظاهره وأساليبه ، ويتقرب من الأكابر ، وينعم بالجاه والنفوذ والثراء . بيد أن هذه الحياة الباهرة كانت تنضح دائماً عن جوانب وثغرات مريبة ؛ ذلك أن كازانوفا لم يكن متحوطاً فى مغامراته وعبثه ؛ ولم يكن يحجم عن أى الوسائل لاستلاب المال أو القلوب ؛ ومن ذلك أنه اشترك فى حادث تزوير أوراق مالية ، وأغرى عددا من أكابر السيدات ، ومنهن المركيزه دورفى التى خدعها واستحوذ على قلبها ومالها بشعوذته ؛ وسطا على كثير من الأزواج والآباء ، فاستلب منهم زوجاتهم أو بناتهم ، واتصل بجماعة خطرة من الأفاقين ولصوص المجتمع الرفيع يدبر معها الخطط والمشاريع المريبة ؛ وذاعت هذه الوقائع والفضائح المزرية ، وكادت تدفع بالمغامر الجرىء إلى غمار لا تحمد عواقبها ، ولكنه آثر الهجرة مرة أخرى ، ويمم عندئذ شطر هولندة مزوداً ببقية من المال والجاه وتوصيات بعض الأكابر

ونزل كازانوفا فى لاهاى سنة ١٧٥٩ ؛ واستأنف هنالك حياة البذخ والطرب ، يعيد سيرته التى جازها فى كل المواطن ، عاشقاً مضطرماً تحمله شهواته حيثما يحمله ظفره ، وتسقط فرائسه بين أذرعه تباعا ، ويبتز المال من هنا وهنالك بكل الوسائل والحيل ، ويستمرئ حياة الخديعة والشعوذة والغواية إلى الذروة ، ويثير حوله بعد حين نفس الشكوك والريب التى يثيرها أينما حل ؛ وإذ يشعر بأن وسائله وحيله ومظاهره كلها قد نفقت ، وأن الجو يتجهم من حوله ، يعتزم الرحيل والنقلة . وهكذا غادر كازانوفا لاهاى كما غادر باريس من قبل مثقلاً بالريب والفضائح ، وهبط إلى لندن فى خريف سنة ١٧٦٣ تحدوه آمال وأمانى أخرى

(للبحث بقية) محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع)

الخصيان

أصل العادة وتاريخها وانتشارها

للدكتور مأمون عبد السلام

هوت الغيرة الجنسية بالانسان إلى دركة ما دون الوحوش ، فوسوس اليه الشيطان أن ينتزع الرجولة من الأبرياء ليتخذهم خداماً يأتمنهم على عرض نسائه وحفظة لطهارتهن . هذا هو الأصل فى اتخاذ الخصيان . وهى عادة لجأ إليها الصينيون والهنود والبابليون والفرس من عصور خالية ، فقد أخبرنا هيرودوت عما كان للخصيان من السطوة فى دولة الفرس فى عهده

وقد عرفهم العرب من قديم فقالوا : خصى بصى وخصى ، وتقول العامة طواشى ، وهى كلمة مولدة ليست من كلام العرب . فقد كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يخصوا أسراهم كما كان يفعل قدماء المصريين ؛ وتجد ذلك مصوراً على جدران مدينة حابو ، وكما يفعل الأحباش الآن . وهذه العادة قديمة فى مصر ، فقد عثروا فى هرم أوناس على مخطوط عرف منه أن حوريس سل خصيتى سيت . وقد اتخذ الفراعنة الخصيان فى قصورهم فبلغوا من النفوذ والسطوة ما حدا بهم إلى قتل أمانيميس وهو الفرعون الثانى من العائلة الثانية عشرة

ونظراً للاعتقاد السائد بأمانة الخصيان فقد أطلق اسم الخصى على أمناء فرعون وملوك بنى اسرائيل ، فقد جاء فى سفر التكوين (٣٩ : ١) : (وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط) وكلنا يعلم أن فوطيفار وهو العزيز كان متزوجاً وقد راودت زوجه يوسف عليه السلام عن نفسه فأبى واستعصم

وقد اتخذ بنو اسرائيل الخصيان كما ذكر فى الكتاب المقدس (الملوك الثانى ٩ : ٣٢ — ٣٣ و ٢٤ : ١٥ وأخبار الأيام الأول ٢٨ : ١ وإستير ٦ : ١ — ٢) وقد حرمت التوراة اتخاذ الخصيان وخصاء الحيوان ، فقد جاء فى سفر التثنية (٢٣ : ١) : لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب . وجاء فى سفر اللاويين : ومرضوض الخصية ومسحوقها ومنزوعها ومقطوعها لا تقربوا للرب

وقد أخذ الاغريق هذه العادة عن الشعوب الأسيوية التى غزاها الاسكندر المقدونى فانتشرت بينهم بعد موته ؛ واسم الخصى عندهم يونوقوس eunochos (ومنها الكلمة الافرنجية يونوق eunoch) واشتقاقها من يونو euné بمعنى الفراش وايقيون ekheim بمعنى الحارس أى حارس فراش الزوجية

وقد أدخل هذه العادة هليو جابال إلى رومه فى عهد الأمبراطورية أى فى نهاية القرن الثالث وتفشت بعد ذلك فى الدولة البيزنطية

وقد حتمت بعض العبادات الخصاء على اتباعها ليتفرغوا للتعبد كما كان يفعل كهنة الهياكل الوثنية السورية القديمة

وقد جاء ذكر الخصيان فى انجيل متى (١٩ : ١٢) : « لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل » وقد اعتمد بعض المسيحيين المتقدمين على هذه الآية وخصوا أنفسهم ليتحرروا من الوقوع فى الخطيئة . وأول من فعل ذلك أوريجانوس الاسكندرى المولود سنة ١٨٥ أو سنة ١٨٦ ميلادية ، وقد أحسن أبوه تهذيبه فتلقى العلم على أكابر علماء المسيحية أمثال بانطينوس وكليمان فى المدارس الكاتيدرائية وهى مدارس دينية كانوا يتلقون فيها الفقه المسيحى والعلوم الأغريقية (على نحو الجامعة الأزهرية فى الاسلام) ؛ وقد خصى نفسه زهداً منه فى الحياة الدنيا ورغبة فى تلقين النساء العلم . وقد قضى ثمانية وعشرين عاماً بالاسكندرية رحل خلالها إلى رومه وانطاكية وبلاد العرب خدمة للدين والعلم

وقد اقتدى الكثير من المسيحيين بأوريجانوس فظهرت فى القرن الثالث المسيحى فرقة الفليسيين نسبة إلى فليسبوس العربى رئيسهم الذى قال إن الخلاص لا يتم إلا بالخصاء ؛ فكانوا يخصون أنفسهم ومن يقع فى أيديهم تقرباً إلى الله تعالى . وقد ثبت المجمع النيقادى الذى عقده الامبراطور قسطنطين الخصاء فى قوانينه فاستمرت العادة بين بعض الطوائف المسيحية حتى

عصبية شديدة ولأفكار سوداوية تنشأ عن جمود العاطفة الجنسية، أما إن خصى الرجل وهو كهل فالتغير لا يكون ملموساً

وقد يتسرب إلى الذهن أن الخصاء يضعف من حدة العقل والشجاعة وهـذا خطأ محض، ففي التاريخ أدلة تثبت ما كان للخصيان من القوة والبأس والتبحر في العلوم وعلو الباع في سياسة الأمم وقيادة الجيوش. فمن الخصيان الذين خلد التاريخ أسماءهم باغوص الفارسي الملقب بصانع الملوك، وفافورينوس الفيلسوف صديق بلوطارخ، وأرسطو نيقوس القائد البطليموسي، وفوطين وزير بطليموس، وأيوتروب وزير اركاديوس

وكان للخصيان شأن عظيم في عهود كثيرة من التاريخ الاسلامي وخاصة بمصر فكان أظهرهم الأستاذ أبو المسك كافور الاخشيدي الذي انتزع الملك لنفسه وخطب باسمه على المنابر، ثم الطواشي محسن الصالحي، والطواشي صبيح في آخر عهد الدولة الأيوبية. وقد أشار اليهما المرحوم ميخائيل بك شاروبيم في كتابه (الكافي) عند كلامه عن أسر المصريين لملك فرنسا فقال إنه لما اشتد الأمر على الفرنسيس وقلت عندهم الأقوات وصعب لذلك عليهم المقام قبالة المسلمين رحلوا يريدون دمياط فالتقى المسلمون أثرهم فانحاز الملك لويز بمن معه من الملوك والأمراء إلى بلد هناك وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشي محسن الصالحي ثم غدر بهم وأحضرهم أسرى إلى المنصورة فقيد الملك لويز وجعله في دار كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان وآثارها لا تزال باقية إلى الآن وقد تهدم أكثرها ووكل به الطواشي صبيح المعظمي، وفي ذلك يقول الشاعر مهدداً الفرنسيس:

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح

وليس أمر خليل أغا وما كان له من السطوة في عهد اسماعيل عنا ببعيد.

مأمون عبد السلام

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصريا عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثالثة (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد للخارج ١٥ قرشاً

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

وكيل كلية العلوم

الدفتريا

بين واضع سمها الفرنسي، وكاشف ترياقها الألماني

ومضت أربع سنوات تحققت بعدها نبوءة لفلار، وبم تحققت؟ بتجربة تظهر لك غاية في السخافة، والحقيقة التي لا شبهة فيها أنها تجربة أوغلت في الخيال وتفانينه بقدر ما بعدت عن دائرة الحقيقة واليقين. تجربة ما كان يحسب حاسب إلا أنها تنتهي بقتل الخنزير الغيني الذي استُخدم فيها غرقاً؟ ولم تكن هذه التجربة بدعاً في الذي أوحاه هذا العصر من تجارب، فبحث المكروب في باريس كان عندئذ على أشده حدةً وعنفاً، يصدر عن قلوب هائجة محمومة لا عن عقول هادئة باردة، ففي هذا العصر كان بستور خائر القوى، منهدم الكيان، بعد نُصرته التي كانت من كشفه فكسين الكَلَب، فقنع بأن يشرف في ضعفه على بناء المعهد ذي المليون فرنك الذي كان يقام في شارع ديتو Rue Dutot[1] وكان في باريس في هذه الفترة متشنيكوف Metchnikoff[2]، وكان رجلا جموحا احترف البحث في المكروب فسلك فيه سبيلا وسطاً بين العلم والشعوذة، وكان جاء باريس من أوديسا الروسية ليجشأ فيها بنظريات غريبة تتحدث عن بلع كرات الدم البيضاء للجراثيم؛ وأخذ في هذا العصر أشياع بستور يحزمون مجاهرهم في عيابهم ويسافرون إلى سيجون Saigon في الهند الصينية وإلى أستراليا، يقصدون إلى كشف مكروبات لأدواء عجيبة لم يكن لها وجود أبداً. وفزعت أمهات كثيرات إلى بستور، والأمل يملأ قلوبهن، يرجونه في كتب لا عدّ لها أن يُنجي أولادهن من أمراض

---

(١) يقصد معهد بستور

(٢) أحد بحاث المكروب المعروفين وستأتي ترجمته

شنيعة عديدة ، ولكن بستور كان رجلا مجهودا منهوكا

كتبت اليه احداهن تقول : « إنك لو شئت لوجدت دواء لهذا الداء اللعين الذى يدعى بالدفتريا ، انك لو فعلت لأعطيت الحياة لأطفالنا وكان لك ثواب ذلك ، اننا نذكرك لهم ، ونحفّظ اسمك إياهم بأنك رب خير للانسانية كبير عميم

ولكن بستور كان قدغاض معينه ، فلم يبق فيه إلا ذَماء ، فقام عنه رو يحاول محو الدفتريا من على ظهر الأرض ، وأعانه فى هذا يرسين Yersin ، وهو رجل لا يهاب الموت ، كان من نصيبه بعد ذلك أن اكتشف جرثومة الموت الأسود فنال بها مجداً كبيرا ، ولم يكن الذى أتاه رو من ذلك علما ، إنما كان جهادا وحرباً . كانت تحدوه عاطفة قوية فاقتحم السُّبُل الى غايته اقتحاماً ، فلم يتريّث كما يتريث المكتشفون لاختطاط الخطة ومصابرة الفرصة فى دهاء وافتنان . ولست أقول إن (رو) بدأ بحثه من أجل هذا الكتاب الذى كتبته تلك البائسة تسترحم فيه بستور ، ولكنى أريد أن أقرر أن رو بدأ بحثه وأكبرُ همِّه تخليص الأرواح لا علم الحقائق ، فهذا البيت فى شارع ديتو ما كان يضم إلا رجالا انسانيين همُّهم خلاص البشرية وتخفيف ويلاتها ، يستوى فى ذلك ربّه الشيخ المشلول ، وغاسل القنانى الخامل الحقير . كلهم كانوا يعملون لخلاص الناس ، وهذا طيب جميل ، ولكنهم حادُوا من أجله أحياناً عن السبيل الذى لا بد من سلوكه لبلوغ الحقيقة . . . . ومع هذا ، وبرغم هذا ، فقد كشف رو كشفاً رائعاً مجيداً

كانت الدفتريا تفتك بباريس فتكاً ذريعاً . فذهب رو ويرسين الى مستشفى الأطفال فوجدا هناك نفس البشلّة التى كان وجدها لُفلار . فربّوها فى حساء بقارورة ، وترسّما الخُطى المعروفة ، حقنا مقادير كبيرة من هذا الحساء فى كثير من طيور وحيوانات منحوسة الطالع فماتت ضحية العلم ، دون أن تعلم عما ضحّت ، فترضى وتطيب نفساً عن نصيبها . ولم يكن هذا الذى بدءا فيه بحثاً كثير النفع كثير الانتاج مستنيراً ، ولكنهما لم يلبثا أن وقعا وشيكا على الدليل الذى أعوز لُفلارَ ، فان الحساء شلّ الأرانب . ذهب مفعوله فى أوردتها فلم تمض الا أيام قلائل حتى سارت تجر أرجلها الخلفية وراءها عرجا . فسر أصحاب التجربة سروراً كبيراً . وزحف الشلل إلى أجسامها حتى بلغ أكتافها وأرجلها الأمامية ثم ماتت فى شللها وبللها ولزاجتها شرَّ ميتة

قال رو وقد ملأته رغبة شديدة فى الايمان بالذى يقول : « إن هذه البشلة تقتل الأرانب على نحو ما تقتل الأطفال . . . . لابد إذن أنها هى سبب الدفتريا الذى لاشك فيه ، ولابد أنى واجد الآن هذه الجرثومة فى هذه الأرانب . واستخرج عدداً كبيراً من الأنسجة من كل ركن من بضعة جثث من هذه الأرانب ، واستخرج أطحلتها وقلوبها ، وزرع منها زَريعات كثيرة ، ولكنه لم يجد بها بشلة واحدة . انها أيام قلائل فقط مضت منذ حقن بلايين من البشلات فى كل أرنب منها . ولكن ها هى ذى ملقاة أمامه ، قد انتزع أحشاءها ، وقطّع أوصالها ، وفتّش فيها مبتدئاً بأنوفها الحمراء منتهياً بما تحت ذيولها البيضاء ، ولكنه لم يعثر بها على بشلة واحدة . إذن فما الذى قتلها ؟ !

فجاءت نبوءة لُفلار تمر سريعة كالبرق بخاطره . فتفكّر وقال : « لابد أن هذه البشلات تصنع سماً وهى فى الحساء ، ولابد أن هذا السم هو الذى يَشلّ ويقتل

وانبعثت فيه روح البحث الصحيح ، روح المعرفة للمعرفة ، فنسى الأطفال وبلواهم ، وأكبَّ على الخنازير الغينية والأرانب يُثخنها قتلا وجزرا ، فقد وجب عليه أن يثبت أن هذه البشلات تعصر سماً من أجسامها الدِّقاق

وبدأ هو ويرسين يدوران يتحسسان فى الظلام عن تجارب تهديهم إلى اثبات ما يبغيان إثباته . وطال تحسسهما ، وبعدت طرائقهما عن طرائق العلم . ولهما العذر فى ذلك ، فلم يكن لديهما فى هذا الباب طرائق معروفة ، ولم يكن سبقهما فيه سابق فيترسمون خطاه على هدى وبصيرة . ولم يسمع أحد قبلهما بأن باحثاً فصل سماً من أجسام المكروبات ، إلا بستور فقدكان حاول شيئاً لم يستتمه من هذا . كانا وحدهما فى ظلمة هذه الجهالة . ولكنهما استطاعا أن يقدحا عود كبريت . . . قالا : « إن البشلة لابد تصب سمَّها فى الحساء ، كما تصب سمّها فى دم الطفل وهى مقيمة على غشاء حلقه » . بالطبع هما لم يثبتا هذا

ووقف رو حجاجه النظرى ، وسَئم الدوران منه فى دائرة

لا تنتهى ، واعتزم حل المعضل فى المعمل بيديه . وجد أن التلمس فى هذا السماء لا يجديه نفعا . وجد أنه كرجل اختل محرك سيارته فتعطلت ، فأراد أن يصلحه وهو لا يدرى من عمل المحركات شيئاً . فكان الأولى به أن يتعلم كيف تعمل المحركات أولا . فقام الى قارورات من الزجاج كبيرة ، ووضع فيها أحسية خالية من المكروب طاهرة ، ثم بذر فيها بشلات نقية من الدفتيريا ، ثم أودعها فى المدافىء لتربى . فلما بقيت فيها أربعة أيام وتم نضجها قال رو : « والآن فعلينا فصل الحساء من المكروب » . وجهز الاثنان لذلك جهازا غريبا ، مرشحاً له شكل الشمعة الا أنه أجوف ، صنعاه من مادة صينية دقيقة اكتنزت حباتها وضاقت مسامها فأذنت بنفاذ الحساء ورفضت ذوات المكروب فيها . ونصبا هذه الشمعات الجوفاء فى مخابير من الزجاج لامعة صقيلة ، وقاما بصبان الأحسية فيها على حذر شديد مخافة أن يصيبهما رشاش قاتل منها ، ولكنها أبت أن تنفذ من الشموع إلى المخابير ، وأخيراً استطاعا أن ينفذاها بهواء مضغوط ضغطا شديدا ، فلما تم لهما ذلك تنفسا الصعداء وهما يصفقان على المنضدة ، ذلك الراشح الرائق قد تراءى فى قواريره الصغيرة أصفر كالكهرمان [1] ولم تكن به جرثومة واحدة

وتمتم رو لنفسه : « هذا السائل لا شك يحتوى السم . نعم لقد حبست الشموع ما كان به من جراثيم ، ولكنه مع هذا لابد أنه يقتل الحيوانات ، وهرج المعمل ومرج بالمساعدين وهم يحضرون الخنازير والأرانب ، فلما حضرت ذهبت إبر الحاقن فى بطونها بهذا السائل الذهبى ، ضربتها فيها يد رو ، وهى يد خفيفة بارعة

وانقلب رو فصار فتاكا سفاحاً ، وملأ قلبه حب القتل ، فلم يجىء إلى معمله يوماً إلا وفى نفسه رغبة كرغبة المجنون أن يجد حيواناته قتيلة صريمة . وكأنى بك تسمعه يصيح إلى يرسين : « إن السم لا بد فاعل فعله الآن فيها ، لا بد أنه ضارب بنابه الآن فى مقاتلها » ، ثم هما ينظران معاً فلا يجدان مايشفى غليلهما ويؤمن على نبوءتهما ، فلا الشعور انتفشت ، ولا الأرجل الخلفية شلت فتجرجرت ، ولا الأجسام ارتمشت وانتفضت

كان وقع ذلك شديداً عليهما . بعد كل هذا التعب ، وكل هذا التجريب والتفنين فى دقة وحذر ، تظل هذه الحيوانات تقرض بقولها فى أقفاصها قرضاً ، وتثب فيها وثبا ، وتتنازل ذكورها وإناثها وتتهارش هذا الهراش السخيف الذى لابد منه لايجاد النسل وتواصل الجنس . . . إنها تملأ أمعدتها وتشبع شهوتها ولا تأبه لشىء . أما هؤلاء الأناسى المردة الطوال الذين أحسنوا غذاءها هذا الاحسان فليحقنوا فى أوردتها أو فى بطونها من ذاك الحساء ما شاءوا . أيدعونه سما ؟ لقد طال بهم الخيال ، وكذب الخال . إن يكن سما فهو لا يزيدها إلا هناءة وطيب حال

وحاول رو مرة أخرى فحقن مقادير أكبر من حسائه فى طائفة حيواناته ، ثم فى أخرى ، ثم فى أخرى ، ولكن من غير جدوى . لم يكن فى الحساء سم

لو أن رو رجل عاقل عادى لكفاه الذى جرى ، واقتنع بأن الحساء الذى أودعه الدفأ أياماً ثم رشحه لم يكن به سم قط . ألم يكفه هذا العدد العديد من الحيوانات التى ضاعت سدى ؟ ولكن رو — ولتحمده الأمهات والأطفال المساكين ، ولترعه الملائكة التى تحفظ البحاث المجانين — ولكن رو كان فى تلك الساعة مجنونا . أصابه مس كالذى كان يصيب أستاذه بستور فيجعله يرى الصواب فى الذى يراه الناس أجمع خطأ ، ويقدح ذهنه فتخرج منه التجربة المستحيلة الناجحة . كأنى بك تسمع هذا الرجل الملول ذا وجه الصقر يصيح لنفسه : « هنا ، فى هذا الحساء سم لا محالة » . وكأنى بك تراه يدور فى معمله يصيح هذه الصيحة إلى القوارير المصففة على الأرفف التربة ، وإلى الأرانب والخنازير الغبية ، وهى لو استطاعت لضحكت من هذا المجهود الخائب الذى بذله ويبذله رجاء قتلها . « لابد من سم فى هذا الحساء الذى نمت فيه بشلات الدفتريا ، وإلا فكيف ماتت الأرانب إذن ؟ »

وأخيراً ، بعد أن قضى الأسابيع يحقن أحسيته فى الحيوانات ويزيد مقدار ما يحقن فيها كل مرة ، أخيراً عزم على أن يحقن فى الخنزير ثلاثين مقداراً من الحساء دفعة واحدة ، ففعل وكاد يغرق الخنزير بحسائه . كان مثله فى ذلك مثل المقامر الذى سئم الخسارة ، فلما يئس جازف فوضع على الرقعة كل ماله . حتى بستور ما كان ليجسر هذه الجسارة فيحقن الخنزير الغبى الصغير تحت جلده بخمسة وثلاثين سنتيمتراً من الحساء كما فعل

(١) أو إن شئت فالكهرباء

رو . أل... هذا المقدار لو أنه ماء نقى ما يقتل الخنزير بمجرد ... وهو إذا مات فأى نتيجة تستخرج من هذا عن وجود سم فى الحساء . . . ولكن رو لم يأبه لذلك ، فدفع بهذا المقدار من الحساء وهو كالبحر فى بطن الخنزير . ودفع بمقدار مثله فى وريد بأذن أرنب ، فكان كمن صب جردل ماء فى أوردة إنسان متوسط الجرم

ولكن بهذا الأسلوب الغريب كتب رو اسمه فى لوحة المجد ، فعلى الناس أن يخلدوها على الدهر ويحفظوها من البلى ما بقى على ظهر هذه البسيطة إنسى . احتمل الأرنب والخنزير تلك الشربة الهائلة وصمدا لجرمها الكبير ، وهنئا بالسلامة ونعما بالعيش يوماً أو يومين بعد هذا ، ولكن لم يمض على ذلك غير ثمان وأربعين ساعة حتى انتصب شعرهما على ظهريهما ، وأخذا يتنفسان اختلاجا . وماتا بعد خمسة أيام ، وظهرت عليهما نفس الأعراض التى ظهرت على الحيوانات الأخرى التى ماتت عقب حقنها بمكروب الدفتريا نفسه لا بحسائه المرشح . وبهذا اكتشف رو سم الدفتريا . . .

لو أن الأمر اقتصر على هذه التجربة ، وما تضمنته من جرعة هائلة من حساء ضعيف السم ، إذن لضحك قُنّاص المكروب منها ومن صاحبها رو ، ولتخذوا منها فكاهة فاضحة : «إن تكن قارورة كبيرة من مكروب الدفتريا لا تخرج إلا هذا السم القليل حتى ليحتاج إلى أكثر هذه القارورة لقتل خنزير غينى صغير ، فأنى لبشلات قليلة تحل فى زور الطفل أن تصنع من هذا السم ما يكفى للقضاء على جرمه الكبير ! هذا حمق أى حمق ! »

ومع هذا فرو حل بذلك العقدة الأولى . وبهذه التجربة السخيفة قدح أول قدحة وأطار أول شرر شع فى ظلمة الطريق فعرف به إلى أى ناحية يتجه وعلى أى جنبيه يميل . فأخذ يتحسس طريقه بين الأحراج ويشق سبيله بين الأدغال بطائفة من التجارب الدقيقة حتى انفتح له السبيل بغتة عن أرض عراء فعرف مكانه واستوثق مما هو فيه . واستغرق فى ذلك شهرين عرف بعدهما السبب فى ضعف السم بحسائه . واتضح له أنه لم يكن ترك الحساء ببشلاته فى المدفأ مدة كافية ، فلم تتمكن البشلات من العمل فلم تصنع من السم ما تعودت أن تصنعه . وعلى هذا صنع حساء جديداً ووضع فيه بشلات جديدة أودعها المدفأ وأبقاها هناك فى حرارة كحرارة الجسم مدة اثنين وأربعين يوماً . فلما أخرجها أخرج سماً كأقوى ما تكون السموم ، وحقن القليل منـــه فى حيواناته فصنع بها ما لا يُصنع . وأخذ فى تقليل مقدار ما يحقن فيها عسى أن يقال فتكه بهذه الحيوانات ولكنه حاول عبثاً ، وظل ينظر بعين واسعة وقلب مغتبط تياه إلى القطرات القليلة من هذا السم تذهب بالأرانب وتقتل الشياه وتلقى بالكلاب صريعة . ثم أخذ يتباهى بهذا السائل الفتاك ، فجففه ، وأراد دراسة كيميائه فأخفق . ثم ركزه تركيزاً كبيراً ، ووزن ما ركز ، ثم عكف يجرى عمليات حسابية طويلة فوجد أن الأوقية منه تقتل ٦٠٠٠٠٠ خنزير غينى ، أو ٧٥٠٠٠ كلب كبير . ووجد أن الخنزير الغينى الذى يناله من هذا السم جزء من ٦٠٠٠٠٠ جزء من الأوقية تتحول أنسجة جسمه فتكون كأنسجة جسم الطفل الذى يموت بالدفتريا

هكذا أوّل رو حلم لفلار وحقق نبوءته ؛ وعلى هذا النحو كشف عن رسول الموت السائل الذى يتحلب من أجسام هذه البشلات الصغيرة الحقيرة كشف رو لنا عن الطريقة التى تقتل بها هذه البشلات الأطفال ، ولكنه لم يكشف لنا عن طريقة ندفع بها شرها ، والكتاب الذى بعثته تلك الأم البائسة لبستور تسأل فيه دواء لهذا الداء بقى على المكتب لا يجد له جواباً ، ومع هذا فعمل رو بلغ أمره الأطباء فتعلموا كيف يربون تلك البشلات من حلوق المرضى من الأطفال ، وأثمر عدة اقتراحات بغرغرات نافعة يغسلون حلوقهم بها ، ولكن رو لم يكن له صبر بستور ولا حيلته

أحمد زكى

فى العدد القادم : بارنج يكتشف ترياق الدفتريا


بالمعرض ... بالمدينة ...
مخازن البن البرازيلى

نشأة مقاييس الذكاء

للأستاذ على محمد فهمى

مدرس التربية التجريبية المساعد بمعهد التربية للبنين

ليس علم النفس بالعلم الحديث ، بل هو قديم من أيام أرسطاطاليس ، ولكنه لم يثمر إلا فى القرن العشرين ومن ثم صار علماء علم النفس يبحثون بجد فى العقل وكنهه ، وفى الذكاء وأصله ، فاستفادت التربية من قياس ذكاء الأطفال . وقد قطعت الأبحاث فى محاولة قياس الذكاء عدة مراحل أهمها أربع :

المرحلة الأولى

فى هذه المرحلة لاحظ الباحثون بادئ الأمر أن هناك تباينا بين الأفراد فى الفهم والتفكير والتذكر والقدرة على التعلم وان هـذا التفاوت يختلف باختلاف الجنس والعمر والبيئة ، وكانت الجهود كلها موجهة إلى محاولة تعيين مقدرة المرء العقلية بواسطة شكل جسمه وخاصة الرأس والعاهات الخلقية التى فى الانسان ، فأول ما نشأت فكرة إيجاد مقاييس الذكاء كانت عبارة عن مجرد فحص الحالة الجسمية

وكان أول من تناولها بالبحث والكتابة فيها الأستاذ لافاتير Lavater سنة ١٧٧٢ فقد نشر فى هـذه السنة بحثا عن معرفة صفات الانسان العقلية والنفسية من ملامح الوجه

ثم نشر جول Gall صاحب نظرية الجمجمة كتابا عن معرفة صفات الناس من أشكال رءوسهم وقياس عظامهم الجمجمية فعمل خريطة للعقل وقسمه إلى ملكات وكانت الملكة تكبر أو تصغر بحسب قوتها وضعفها ويسمى هـذا العلم بعلم الفراسة Phrenology

ثم تبعه فى بحثه الدكتور بل سنة ١٨٠٦ ثم داروين سـنة ١٨٧٢ وكانا يعتبران أن صفات الشخص العقلية تعرف من حالة عضلاته ، فالخائف مثلا تظهر عليـه علامات كأن تفتح عيناه وترتعش ركبتاه وغير ذلك من علامات الخوف ؛ فاذا كان الخوف مستمراً فانه يترك فى وجه الشخص طابعا يدل عليه ، ولكن ثبت خطأ هذه النظرية إذ قد توجد علامات مشتركة بين حالات مختلفة فلا يمكن مثلا التمييز بين علامات الضحك من السرور وعلامات الضحك من الاستغراب والاستهزاء

قام بعد ذلك الأستاذ لمبروزو Lombroso الاخصائى فى علم الأجرام بمباحثه وأتى بفكرة جديدة وهى الحكم على صفات الناس العقلية والنفسية من العلامات التشريحية Anatomical Stigma فهو يقول بأن هناك وصمات Stigma وتشويهات معينة فى الجسم يدل وجودها فيه على ميل فطرى للاجرام ، فمثلا كبر الرأس وشكله وعدم مساواة نصفيه وعرض الجبهة وضيقها والأنف المريض والمقلوب والمفرطح وسـقف الحلق الضيق والمرتفع ـ ويكون عادة على شكل ٨ ـ والآذان عديمة الحلمة والمشوهة والكبيرة الحجم ، كل هذه العلامات أو العاهات كما يقول الأستاذ لومبروزو هى علامات صحيحة للاجرام موجودة مع الطفل من يوم ولادته . وعلى ذلك فهو يرى أن الشذوذ فى الخلقة يرجع إلى شذوذ فى النفس والعقل . وقد نشرت ملاحظات هذا العالم وتجاربه هو ومساعدوه فى أواخر القرن التاسع عشر ، ولكن على توالى الزمن اقتنع العلماء بأن الحكم على العقل أو النفس بمجرد مشاهدة الخلقة حكم لا قيمة له بل يجب اختبار الصفات العقلية والنفسية باختبارات عقلية سيكولوجية

هدأت الأفكار بعـد ذلك نوعا ما وتحولت عن نظرية لمبروزو وعلاقتها بالاجرام : هنالك نشط الباحثون واستنفدوا جهدهم فى البحث فوصلوا إلى أن كبر حجم الجمجمة دليل على كبر حجم المخ ، وكبر حجم المخ دليل على الذكاء والعكس ، غير أنه فاتهم للأسف أن الذكاء لا يقدر بكبر حجم المخ ولا بصغره وإنما يقدر بسمك المادة السنجابية وكثرة تلافيف المخ الخ . وقد نشط الأستاذ بيرسون فى بحث هذا الرأى فأجرى تجاربه على ٥٠٠ طالب من جامعة كولومبيا بأمريكا فوجد أن العلاقة بين حجم المخ والذكاء تكاد تكون معدومة

المرحلة الثانية

بعد ذلك ظهرت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر ثلاث حركات علمية مهدت السبيل لظهور المقاييس العقلية وهى :

أولا : ظهور علم النفس التجريبى فى ألمانيا على يد ويبر Weber

الذى اه… …سة الاحساسات وحاول أن يطبق عليها روح …سع عشر وهى الروح العلمية التجريبية ، وتبعه عالم ألمانى …نخر Fechner ثم تبعهما سلسلة علماء حتى جاء وند Wundt وأنشأ أول معمل لعلم النفس فى ليبزج سنة ١٨٧٩ ، وكان متجهاً لدراسة الاحساسات لوجود فلسفة الترابط فى انجلترا Association فى ذلك الوقت ، وفلسفة الترابط هذه تقول إن أصل كل حياة فكرية هى الاحساسات ، وإذن فالاحساسات هى أساس نشوء الحياة العقلية ، ولذلك عمد وند Wundt لدراسة زمن الرجع Reaction وهو الزمن الذى ينقضى بين وصول المؤثر وبين حصول الرد عليه ، لأنه دليل على سرعة العمليات العقلية ، وكان يساعده فى أبحاثه الأمريكى كاتل Cattell الذى لاحظ أن الأشخاص يختلف بعضهم عن بعض فى زمن الرجع ، وكانت أبحاثه ضد رغبة استاذه وإن كانت تعتبر الآن من الينابيع التى غذت المقاييس العقلية

ثانياً : دراسة الوراثة فى انجلترا : وأول من بدأ بدراستها هو فرنسيس جالتون Francis Galton وهو أحد أقارب داروين واشترك معه فى أبحاثه فى نظرية النشوء والارتقاء ، ولكن داروين كان كل همه دراسة وراثة الانسان من وجهة الجسم فقط فاهتم جالتون بدراسة وراثة الصفات العقلية ، وقد نشر سنة ١٨٨٣ كتابه « أبحاث فى القوى العقلية » وبه عدة أبحاث خاصة بالخيال ومحاولات بسيطة لقياس الصفات العقلية ، ثم فتح فى لندن معملا للقياس العقلى والجسمى ، وسماها مقاييس انثروبولوجية (خاصة بدراسة البشر)

على أن بحث السير جالتون هذا وإن كان خلوا من الملاحظات والنتائج إلا أنه يعد أول عالم فكر فى موضوع الذكاء وقياسه

ثالثاً : حركة علم النفس الطبى فى فرنسا : أخذ علم النفس يتجه اتجاها عمليا فى فرنسا وذلك لأن الفرنسيين مهتمون بالطب ، ولأن علم النفس يتصل بالطب اتصالا تاما ، ومن الموضوعات التى كان لها أثر فى القياس العقلى ظهور مسألة قياس ضعفاء العقول Mental defectives فأخذ الناس فى القرن الثامن عشر يهتمون بهم ويتفهمون حالهم ويحاولون علاجهم . ساعد على ذلك عثور صياد فى غابة Caune بفرنسا فى يوم على طفل فى حالة همجية ، فأخذه إلى باريس وفحصه الأطباء وعهدوا بتربيته إلى فيلسوف طبيب اسمه إتار Itard وكان طبيبا فى معهد الصم والبكم ، فجرب على الطفل الطرق الحسية ليرى تأثيرها على تعليمه وتحوله من الهمجية ، وبعد مضى مدة وجد أن التقدم فى حالة الطفل بطىء فأرسله إلى معهد خيرى ، حيث كان يشتغل طبيب اسمه سيجان Séguin وكان تلميذاً لإتار Itard فلم ييأس هذا من استعمال الطرق الحسية مع الولد حتى نجحت وتقدم الولد تقدما ملموسا

ذلك الى إنشاء مدرسة لتربية ضعفاء العقول على طريقة Séguin وشاع استعمال هذه المدارس ثم جدت مشكلة الحكم على عقل الطفل فحمل ذلك وزارة المعارف فى فرنسا على انشاء لجنة لدراسة هذه المشكلة ، وكان من بين أعضائها بينيه Binet الذى عمل أول مقياس عملى للذكاء سنة ١٩٠٤

المرحلة الثالثة

ذكرنا أن كاتل كان يبحث مع وند فى ألمانيا وزار جالتون فى لندن ، ولما عاد إلى أمريكا عين مدرساً لعلم النفس فنشر سنة ١٨٩٠ برنامجاً للقياس العقلى اقترح فيه أن تطبق مقاييس خاصة على طلبة مدرسته ، وكانت المقاييس بسيطة تقاس بها القوى الحركية والتمييز الحسى ومظاهر أولية للذاكرة والحكم

نشر كاتل هذه الاختبارات فى مجلة انكليزية ذيلها جالتون بالتعضيد فأثر نشرها فى أوربا وأمريكا وطبقها علماء النفس حتى أنه فى سنة ١٨٩٦ استأجر جاسترو Jastrow مكانا فى معرض شيكاغو وأخذ يختبر ذكاء الأشخاص نظير أجر ، ثم أخذ كاتل فى تطبيق هذه الاختبارات على الطلبة فى جامعة كولومبيا ونشرت نتائجها سنة ١٩٠١ وقارن جلبرت Gilbsrt نتائج هذه الاختبارات التى عملت على الطلبة بنتائج حكم المدرسين على الطلبة أنفسهم ، فوجد أن الاتفاق بين الاثنين ضعيف جدا

ومن ذلك نرى أن هذه المقاييس لم تكن مضبوطة ، ولم تدل على الذكاء تماما ، لأنها تقيس قوى فردية ليس بينها وبين القوة العقلية العامة علاقة متينة ، وقد أدى هذا النقص إلى التحول عن هذه المقاييس وأصبحت جامعة كولومبيا تحت رئاسة Thorndike مركزا للبحث فى هذه المقاييس ، وبالتدريج تغلبت الروح العلمية فأخذ علم النفس صبغة طبية فى فرنسا ، وابتدأ

الفرنسيون يهتمون بقياس العمليات العقلية ذات الأهمية الظاهرة في الحياة ، وفي سنة ١٨٩٦ ظهر مقال للعلامة بينيه في مجلة السنة النفسانية التي اتخذها مسرحا لنشر أبحاثه المختلفة ، وكان يحرر الجزء الأعظم منها بنفسه باذلا في ذلك مجهودا كبيرا ومهتماً من البداية بمسألة الذكاء وقياسه معالجا إياها من نواح عدة ، وقد لخص بينيه الأبحاث التي عملت قبل ذلك وحمل على الاختبارات الموجودة حملة شديدة إذ كانت تقيس قوى عقلية بسيطة ليست مهمة في الحياة ، فكانت حسية وحركية ، ولكن الناس لا يتميزون في الذكاء بقوة الاحساس والحركة وانما يتميزون بقوة الحكم والخيال والذاكرة . وذكر بينيه أيضا في مقاله أنه لا بد لقياس الذكاء من ترك المقاييس القديمة والبحث عن أخرى لقياس القوى العقلية العليا ، فكان لهذا المقال أثر كبير نقل مقاييس الذكاء من نظريات الى معامل ، وأبطل استعمال الأجهزة النحاسية التي كانت تستعمل ، ومن ذلك الحين تدفقت الاختبارات العقلية التي قام بها فريق كبير من العلماء ، على أننا لا يمكننا تتبع كل هذه الاختبارات وانما نتكلم على أهمها وهو اختبار بينيه

ولد الفرد بينيه بمدينة نيس من أعمال فرنسا سنة ١٨٥٧ وحصل على أجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ ثم عكف على دراسة الطب وتتلمذ للعالمين المشهورين وتشذ فيريه Feré وشاركوه Charcot ولا سيما الثاني منهما فقد بث فيه روح الاهتمام بدراسة نفسيات الشواذ من الناس . ثم تعاون بينيه مع آخرين على إنشاء معمل للأبحاث النفسية في السربون ثم أصبح هو مديراً لهذا المعمل وكان أحد أعضاء اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف الفرنسية لاختيار ضعاف العقول فخطر له أن يدعم عمله في هذه اللجنة ببحث قيم يتخذ أساساً وعوناً لبقية البحوث في المستقبل ؛ وبدأ عمله بالبحث في ماهية ضعف العقل ، ومن هو ضعيف العقل من الأولاد الذي يحتاج إلى تعليم خاص ، وقد خصص جهوده كلها ومواهبه العلمية لانجاز هذا العمل وعكف عليه زمناً طويلا لا يقل عن سبع سنوات وفق فيها إلى غرضه وأخرج مقياساً علمياً عملياً حقاً ، وظهرت له سلسلة أبحاث في المقاييس العقلية . وقد رأى أن الانتباه الارادى والذكاء مرتبطان لدرجة أنه يمكن اتخاذ مقاييس الانتباه دليلا على الذكاء فوضع اختبارات عديدة منها زمن الرجع وإعادة بعض أعداد والسرعة في عد دقات الكرونومتر .

وقام عالم ألماني آخر اسمه ابينجوس Ebbinghaus سنة ١٨٩٧ وعمل اختباراً سماه طريقة التركيب Combination Method ويسمى الآن طريقة التكميل فدلت الاختبارات التكميلية على أنها من أحسن الاختبارات للذكاء ، والأساس الذي بني عليه هو اعتقاده أن الذكاء لا يتجلى في إدراك المؤثرات متفرقة وإنما يتجلى في ضم المؤثرات بعضها إلى بعض لتركيب وحدة كلية ، ففي الجملة الواحدة مثلا لا يتجلى الذكاء في فهم كل كلمة على حدة بل في فهم الجملة كلها وهي فكرة وجيهة جداً ، وقد استمر البحث حتى سنة ١٩٠٥ حين ظهر أول مقياس كامل للذكاء من عمل بينيه Binet ومساعده سيمون ثم عدلاه في سنة ١٩٠٨ وفي سنة ١٩١١ وترجم مقياس سنة ١٩٠٨ إلى لغات عدة فأحدث أثراً كبيراً في العالم وجرب في بلاد كثيرة وقد سخر بعض الناس من مقياس بينيه وقالوا إنه ليس له فائدة عملية ، ولكن أكثر العلماء رأوا فائدته وكان بينيه مشبعاً بالروح العلمية الحديثة ، وظل يدخل اصلاحات عدة في مقياسه ومات سنة ١٩١٢

وقد كان من نتيجة تجربة مقياس بينيه في بلاد كثيرة أن تجلت الحاجة إلى تعديله بما يلائم حالة كل بلد منها ، ولذلك ظهرت له تنقيحات عديدة منها خمسة أو ستة في أمريكا وتعديل أو اثنان في ألمانيا وانجلترا ، وأهم هذه التنقيحات تنقيح الأستاذ تيرمان Terman الأمريكي وكان أستاذاً بجامعة استانفورد وهي التنقيح باسم الجامعة The Stanford Revision of the Binet Simon Tests of Intillegence.

وكان ترمان مهتماً بمسألة القياس العقلي حتى قبل ظهور مقياس بينيه ، فقد ألف بحثاً في العبقرية geniuty والغباوة Stupidity حاول به أن يوجد أسئلة تميز بين الأذكياء والأغبياء وقد نشر أبحاثه هذه في سنة ١٩٠٦ ولما نشر مقياس بينيه اهتم به اهتماماً كبيراً وابتدأ بمساعدة شلد Child في تعديل هذا القياس بأن ضم إليه عدداً من اختباراته وأوجد مقياساً منقحاً ولكن أهم من ذلك أنه أدخل في تنقيحه فكرة جديدة ليست من عنده ولكنها من عند عالم الماني يدعى استرن Stern وهي فكرة نسبة الذكاء ، وقد كان بينيه يعتمد في مقياسه على تأخر أو تقدم العمر العقلي عن العمر الزمني ، ولكن التجربة دلت على أن هذه

الطريقـ ـب دقيقة ، فمثلا إذا فرضنا أن ولداً عمره العقلى ـب والزمني ٥ سنوات فان تقدمه العقلى على حساب بينيه ـون مماثلا لولد عمره العقلى ١٢ سنة وعمره الزمنى ١٠ سنوات

أما استرن Stern فيقول إن ذكاء الأول أكبر من الثانى لأن نسبة الذكاء فى الأول أكبر منها فى الثانى ، فنسبة ذكاء الأول ٧/٥=١٫٤ بينما فى الثانى ١٢/١٠=١٫٢ — أخذ ترمان هذه الفكرة نفسها وأضافها إلى مقياسه المنقح إلا أنه ضرب هذه النسبة فى ١٠٠ لكى يتلافى الكسور فتكون نسبة ذكاء الأول ١٤٠ والثانى ١٢٠ وقد نقل الأستاذ القبانى اختبار ستنفرد بينيه هذا إلى العربية بعد أن أدخل كثيراً من التعديلات الضرورية عليه لجعله ملائماً للبيئة المصرية

المرحلة الرابعة

كل المقاييس التى ذكرت لفظية Verbal وقد اعترض على هذا النوع من المقاييس :—

(١) لأن الطالب الذى تكون ظروف بيئته لا تساعده على التعبير يظلم فى هذه البيئة ، ولذا فالتلميذ الذى من وسط اجتماعى راق يكون أذكى من تلميذ من وسط اجتماعى فقير ، لأن الأول يسمع مناقشات ويشترك فيها بينما لا يقابل الثانى من أبيه أو أمه إلا بالزجر والضرب

(٢) وهناك أطفال لا تتوفر عندهم ملكة الكلام أو غير متمكنين من اللغة الموضوع بها الاختبار

(٣) وهناك أطفال من ذوى العاهات كفاقدى السمع والنطق يصعب اختبارهم بهذه المقاييس اللفظية

(٤) فى بعض البلاد تختلف اللغة الدارجة التى يتعلمها الطفل عن لغة الاختبار كمصر مثلا

كل ما تقدم أدى الى البحث عن اختبارات أخرى تصلح لهذه الحالات كلها ولذا عملت اختبارات عملية Perfor mance Tests بمعنى أن المطلوب فيها سؤال لا يجاوب عليه باللفظ ، ولكن يكلف المفحوص بالقيام بعمل يعمله أمام المختبر ، ومن أمثلتها لوحة الأشكال Form-Board وبها أشكال مختلفة مجوفة يعطى للطالب أجسام مماثلة لها بحيث يضع كل جسم فى الشكل المجوف المماثل له ، وهناك لوحات سهلة التركيب وأخرى صعبة التركيب يمكن فى مثل هذه اللوحات احتساب عدد تغيير القطع حتى يجد الولد القطعة المطلوبة وحساب الزمن الذى يستغرقه المختبر فى اتمام تركيب اللوحة

وهناك نوع آخر من هذه الاختبارات يسمى اختبار التواهات Maze Tests مثل بيت جحا ولكنها مرسومة على ورق فيدخل الطالب من باب ويخرج من آخر

وهناك نوع ثالث وهو لوحة الصور يلصق عليها صورة مقطوع منها أجزاء ، وهذه الأجزاء تعطى للتلميذ ويطلب منه تكميل الصورة

كل هذه الاختبارات فردية تعطى لكل فرد على حدة فتطبيقها يحتاج الى وقت كبير ولذا فنحن فى حاجة الى اختبارات لا تحتاج الى وقت كبير فاخترعت اختبارات جمعية Group Tests. إذ فكر Otis من تلاميذ Terman فى عمل اختبار جمعى ، وقام علماء النفس بأمريكا بعمل اختبارات جمعية ، فألفوا مقاييس الجيش ، وأطلقوا على الأول منها مقياس Alpeha وهو من النوع اللفظى على الثانى Beta وهو اختبار عملى جمعى تستعمل فيه الصور ، وقد ارتاح رجال الجيش الى نتيجة هذه الاختبارات فانتشرت من أمريكا الى بقية العالم

على محمد فهمى

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أتمت لجنة التأليف طبع « الجزء الثانى » من كتاب « الاسلام والحضارة العربية » للأستاذ محمد كرد على ، وهو يبحث فى العلوم والمذاهب والادارة والسياسة فى الاسلام

وقد طبع فى مطبعة دار الكتب الأميرية ، ويقع فى نحو ستمائة صفحة من القطع الكبير ، وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

في المباراة الأدبية

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

للآنسة فتحية عزمي

كانت نهضة المرأة في مصر إحدى ثمار الثورة الوطنية المباركة التي انبجست من قلوب أبنائها البررة عام ١٩١٩ ؛ وإذا كانت الثورات التي حدثنا عنها التاريخ قد أفادت العالم من كل نواحيه ، وخلقت روحاً جديداً من التطور في كل مرافقه ، فان مصر هي الأخرى قد جنت من وراء ثورتها الفتية نهضة مباركة بدأ أثرها جليا في السنين الأخيرة في الأدب والفنون والعلوم والاقتصاد والسياسة . وكان من أبرز هذه المظاهر وأروعها خروج المرأة المصرية من معقل التقاليد العتيقة المرذولة الى الحياة العملية الصحيحة بعد الجهل المخيم والجمود الطويل ...

لقد مضى على المرأة المصرية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً حتى نفخ الزعيم الخالد « سعد » العظيم في صور الثورة فلبت مع الملبين ، وترامت في ميدان الجهاد مع المترامين ، فرأينا كيف يجتذب صوت الداعي الأخاذ النفاذ خدور العذارى والسيدات إلى حيث النداء والتضحية ، وكيف أن المرأة المصرية الحيية الساذجة قد ألقت عنها خمارها لتجابه بوجهها الحديد والنار في جانب الرجل ، تشد عضده بمظهرها الحامي الجريء ، وتبعث في نفسه روح البسالة والاقدام ، فيسارع الى الموت باسماً لا ينكص ولا يتزعزع ، وهكذا سجل التاريخ للمصرية في ذلك العام المجيد صفحة فخار ستبقى خالدة مادامت مصر وما دامت الوطنية والحرية ، كما سجل للمرأة البدوية وراء الأجيال السحيقة يوم تبعث رجلها في الحروب تؤازره وتشجعه وتنشد خلفه أناشيد الحماسة والنصر فيشتد ساعده ويثبت جنانه فلا يتجلجل ولا يتحلحل إلا إلى نصر محقق حيث يعود إليها متوجاً بأكاليل الظفر ، أو إلى قبر في الفلاة موحش حيث الشرف كل الشرف والخلود كل الخلود ...

فنهضة المرأة الحق في مصر لم تكن إلا وليدة الثورة ، وكل ما قام قبل هذا التاريخ لترقية مستواها لم يكن إلا محاولات ضئيلة لا تكاد تذكر الى جانب تلك الطفرة الهائلة التي قذفتها اليها الثورة ، وهنا يحق لنا أن نحني الرأس في هذا المقام اجلالا لذكرى زعيمنا الخالد الذي تفجر من فيض وطنيته ما ننعم فيه الآن من نهضات عمت مرافقنا الحيوية ، ثم نحيي في جثمانه الهامد الوطنية الصحيحة والوجدان الحي والتضحية الفادحة والعمل الخالد المقيم . . .

وأخذت بعد ذلك نهضة المرأة المصرية تسير سيرها الحثيث نحو التقدم المنشود ففتحت أمامها موارد العلم تغترف ما شاءت حتى صارت إلى ما هي عليه الآن من رقي وثقافة يكادان أن يضماها في مستوى زميلتها الغربية ، ولكن هل آتت هذه النهضة أكلها حقا ؟ وماذا كان أثر هذه النهضة في الحياة العامة ؟ ؟

لا يسع كل منصف إلا أن يحكم معنا أن تعليم المرأة لدينا قد بلغ شوطاً بعيداً وخاصة في الأعوام القلائل الأخيرة ، فمنا الآن الأديبات والطبيبات والحقوقيات وغيرهن ممن نلن من الثقافة العالية نصيباً وافرا ، ولكن العمل الرئيسي الذي خلقت له المرأة يؤول اليوم تدريجيا الى الاهمال ، فالشؤون المنزلية وتربية الأولاد واعدادهم للحياة الصحيحة ثم تفهم الحياة الزوجية ودرسها درسا وافيا ، كل ذلك أضحى في نظر سيداتنا وخاصة المثقفات منهن شيئا ثانويا أولى منه اتقان أدوات الزينة والجري وراء الأزياء الحديثة حتى أصبحنا في خشية من انطباق قول الآنسة دي سكودراي علينا : « ان فتاة تنسى النظر الى السماء لا تحسن شيئا على الأرض ! ! »

« إن النساء أنبل العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد وماعدا هذا فانهن يظهرن بمظهر مزعج » كلمة مريرة قالها موليير عن المرأة ، وهي وإن كانت تهكما لاذعا كاد صاحبها يخرج بها إلى حد المغالاة ، أو جاوزها فعلا ، إلا أن فيه إشارة الى الوظيفة الأولى للمرأة التي أشرنا اليها من قبل . وانه لخليق بالمرأة المصرية وقد ضربت في الثقافة العامة بسهم وافر أن تضع نصب عينيها الرسالة التي أوجدتها الطبيعة من أجلها وتؤديها على أتمها خالصة في سبيل الله والواجب ، ومن ثم تضرب في خضم الحياة العملية ما شاء لها الفكر الوقاد على ضوء الخبرة والمعرفة . أما أن

تعنى .. الفرعية دون تقويم الأساس وتمكينه فهذا ما لا يقره سليم ولا تبيحه نفس الطبيعة التي فطرت كل شيء لغرض معين وهيأته لرسالة محدودة

في يقيني أن خير استثمار المرأة المصرية للخير العام ينحصر في شيء واحد وهو: تشييد صرح حياتنا الاجتماعية على أساس مكين ونظام متقن؛ وإذا كانت نهضة المرأة عندنا قد قامت على تعليمها فأحر بنا أن نستغل هذا التعليم لتمهيد سبل السعادة لأزواجنا ومعاونتهم على العيش، ثم تدبير بيوتنا وتثقيف أولادنا ثقافة أخلاقية وعلمية ووطنية ليشبوا رجالا بكل ما في هذه الكلمة من معنى سام جليل؛ ومتى تركزت حياتنا الاجتماعية على هذه الأسس الوطيدة صلحت حياتنا العامة وأعددنا للوطن أشبالا تغذوا بلبان الوطنية واهتدوا بهدى الدين إلى سواء السبيل

صدقوني أننا لسنا بحاجة إلى المرأة المثقفة العالية بقدر حاجتنا إلى الأم الصالحة أو «المدرسة الأولى» كما نعتها الكتاب والشعراء قديما، وهاهي ذي البلاد تئن من أقصاها إلى أقصاها من كابوس البطالة الذي يجثم على أنفاسها ويزداد هولا يوما بعد يوم باطراد زيادة عدد المتعلمين الذين تلفظهم المدارس كل عام لمواجهة الحياة العملية حتى ضاقت بهم سبلها وغصت بهم على رحبها، وهذا الجيش الجرار من شباب الأمة المتعلم العاطل أولى منا نحن معشر النساء المثقفات بالعمل، فماذا يمكن إذاً استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام ؟!

ليس هنالك سوى رد واحد على هذا السؤال، هو ما قلته، وهو أن خير طريقة لهذا الاستثمار هو الاستثمار الاجتماعي المعنوي الذي ذكرت لا الاستثمار المادي كما يمكن أن يفهم من كلمة «الاستثمار» وذلك لأن هذا الاستثمار المادي الأخير نحن في غنى عنه بما لدينا من أيد عاطلة عديدة أحق بالتشغيل من جهة، وعدا ذلك فإن استثمار نهضة المرأة المصرية اجتماعيا يركز حياتنا العامة ويسيرها في طريق التطور المرجو غير بطيئة ولا وجلة

ويبدو لنا من أخبار الغرب التي يحملها إلينا البريد الأوربي الأخير من أن العالم قد بدأ يحس مدى خطئه في قصر تعليم المرأة على ثقافتها فحسب دون العناية بالغرض الأساسي الذي خلقت له؛ فهذي الآن فرنسا تحارب فكرة إعطاء الحقوق السياسية للنساء ومساواتهن بالرجال؛ وها نحن أولاء نرى ألمانيا وإيطاليا تضمان في جملة أنظمتها الجديدة أن تعود المرأة إلى سالف عصرها من التزام البيوت والقيام على تربية الأطفال، ومنعهن ما أمكن من تعاطي أعمال الرجال. وقد قرأنا للأستاذ محمد كرد علي ملخصاً لكتاب ظهر أخيراً في فرنسا حول هذا الصدد للدكتور روبرتوش بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الكتاب أحدهم تيودور جوران قال: «إن رفعة المرأة بلية صدرت إلينا من البلاد الأجنبية ولاسيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد الشمال، وكان هذا النفوذ المتألف من كل غريب يكفي أن يكون منه نتاج قد يتلاءم كثيراً مع تركيبنا الفرنسي» وقال روبر كبيو: «من السهل الدلالة على أن دعوى رفع شأن المرأة كانت أبداً وليدة المذهب الاشتراكي فإنا نرانا نسقط فيها على أفكار اشتراكية بعينها، وعلى معان لهم وتعبيرات، وعلى كلمات ما برح الاشتراكيون يرددونها مع سفسطات كانت ولا تزال مألوفة لهم، وما المرأة إلا أعدى عدو لرفعة شأنها، فهي موقنة بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه من نفوذها العام، ولا يتأتى مما ترمي إليه إدخال أدنى إصلاح على النظام الاجتماعي» وقال الثالث تيناير «إن حقوق النساء وتحريرهن الأدبي هذا حسن وجميل، ولكن يا سيداتي حررن أنفسكن أولاً من الخياطة، فإن لم تكن لكن هذه الشجاعة فلا تطالبن إلى أن تحصلن على ما بقي» وقد استعرض المؤلف في كتابه نهضة المرأة منذ نشأتها إلى اليوم وحللها تحليلا دقيقا عاب عليها عنايتها بثقافتها دون الغرض الرئيسي الذي هيأها له الطبيعة. من هنا نرى أن أعرق الأمم الغربية في النهضة النسوية قد بدأت تتحسس مدى خطئها في توجيه المرأة إلى غير ما خلقت له ولم يعد بين هاته الدول من أخذتها هذه المدنية الطاغية عن جادة الطريق سوى تركيا الحديثة التي خالت أنه لم يبق بينها وبين مساواة العالم المتمدين سوى هذه الغلطة الاجتماعية النسائية فأبت إلا أن تشرب الكأس حتى الثمالة، وما أشك أنها ستجني ثمرة هذا التقليد الأعمى علقما وصابا كما جنته براقش

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا جبلاً عن غرة زلجا

ولنتدبر نحن في المستقبل قبل أن نخطو إليه، ولنتبين من أي طريق تسوق المدنية المغرور، ولنستمع صوت الطبيعة الذي تصرخ في وجوهنا: لقد خلقت المرأة لتكون نظام الأسرة وتكمل الشطر الثاني من حياة الرجل، وتقدم له وللعالم كأس السعادة مترعة هنية، فلا يخلبنكم بريق المدنية الخادع الكاذب

فتعيشوا بنظمي وتقلبوها رأساً على عقب ، لا يصيبكم ما أصاب من قبلكم من المتمنتين المستكبرين ...

***

وبعد ... فهذا رأيي في اعتبار نهضة المرأة المصرية للخير العام أدلي به راجية أن أكون بذلك قد أرضيت الواجب والضمير ، وإن كنت قد عرضت نفسي للوم البعض من سيداتي المثقفات ممن يرين في الحياة غير رأيي ، ولا يفوتني هنا أن أهمس في آذان هؤلاء أنه خير للمرأة من حياة زوجية سعيدة يحفها البنون وترف عليها الهناءة من مجد عريض يكلل هامتها ووسام نبيل تحمله . ذلك لأن المرأة خلقت للرجل والرجل خلق للعمل ، وأن مجد المرأة حداد ظاهر على إسعادها كما قالت مدام دي استال ، فلا تغامروا بالمرأة في تجربة قد أدرك العالم المتمدين خطأها ولا تستثمروها في غير ما خلقت له وإلا تكونوا كطالب الماء من الصخر ، أو مستنبت الزرع في المهمه القفر

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار !!

فهمية عزمي

صورة من المجتمع الجزائري

إني أرى في المنام !

للأستاذ محمد سعيد الزاهري

عضو جمعية العلماء الجزائريين

خرج من السوق خائباً مكتئباً ، ملامحه عليها غبرة ترهقها قترة ، تدل على ما يأكل نفسه من الهم القاتل ، والحزن العميق ، يحمل في إحدى يديه « قفة » فارغة لا شيء فيها ، وفي الأخرى « سبحة » غليظة جداً ، وهو يقول بصوت واضح مسموع : « هذا ما يريد لي فلان ، وهذا ما يريد لي فلان ... » وذكر ناساً بأسمائهم من رجال الإصلاح الإسلامي في الجزائر ، ومضى يردد ما يقول الى مسافة بعيدة من السوق

هو « شيخ » لاحدى الطرق الصوفية في هذه البلاد . قد وَهَن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . تراه فترى وجها كالحا مسنوناً ، ولحية قذرة صفراء كأن دخاناً كثيفاً لا يزال يتعهدها ويغشاها من حين الى حين . كان يعتنق طريقة صوفية ، فلما لم يجد فيها معاشا تحول عنها الى طريقة أخرى يعيش فيها عالة على أحبابها ومعتنقيها ، فلا يدعُ وليمةً ولا جنازةً لأحدهم إلا هرول اليها متعرضا لما قد يكون فيها من صدقات أو نفحات .

ولقد مرد على هذا الأسلوب من التكسب فأتقنه وتفنن فيه ، فهو يبث العيون والأرصاد يتنسمون له أخبار الأفراح والأتراح ، ويرسل في المدائن حاشرين يأتونه بالزوار والمريدين يرجون مغفرته ويلتمسون منه البركة والخير ! ويرتكب هؤلاء الدعاة الذين يدعون الناسَ اليه ضروباً من الترغيب والترهيب ، فينحلونه المناقب والصالحات ، والخوارق والمعجزات ! فيزعمون « أن من يطيع الشيخ فقد أطاع الله » وأن الرسول (ص) لا يفارق الشيخ طرفة عين ، وأن من اتبع الشيخ فجزاؤهم عند ربهم جنات عدن يدخلونها ، وأن من خالفه مأواهم النار وبئس المصير

وقفوا ذات يوم على فاكهي وقالوا له : إن شيخنا يُقرئك السلام ويقول لك يا بني إني أرى في المنام كأنك تتخبط في ضحضاح من النار وأنت تستغيث فلا تغاث حتى استغثتَ بي ، وذكرتني باسمي فأخذتُ بيدك ، وانقذتك من الهلاك . وتعبير هذه الرؤيا هو أنكَ رجُل قد غرق في ذنوبه وخطاياه ، ولا خلاص لك إلا بأيدينا ... ثم لا يزال هؤلاء بالرجل يزينون اليه الشيخ ، ويحثون على زيارته ، حتى يقع في الفخ ، ويزور الشيخ ويأخذ عنه « الوسيلة » . وهنا يصير مريداً ممن يرزقون الشيخَ ، ويؤدون اليه كلّ ما هو في حاجة اليه من طعام وشراب ومن نقود ومتاع

ولقد مد الشيخ أحبولته مرة أخرى فاصطاد رجلا مخلصاً بسيطاً ، طيب القلب . يقال له « علاّل » ، وكان هذا عاملا مجداً يدر عليه عمله كسباً وفيراً ، وخيراً كثيراً . وكان سمحاً كريماً ، فكان يرزق الشيخ ويقوت عيال الشيخ ، ويجزل له العطايا والهبات . فلم يكن يشتري لنفسه شيئاً إلا اشترى مثله للشيخ ، ولا قضى لنفسه حاجة إلا قضى للشيخ حاجة مثلها ، فان اشترى لنفسه رطلا من البن أو العنب اشترى للشيخ من

ذلك رطلا أو رطلين اثنين ، أو فصل لنفسه عباءة فصل للشيخ عباءة أحسن منها وأغلى وهلم جرا

وانفق أن صاحباً لعلال قدم من الحج فأهدى إليه عمامة حجازية من الحرير الغالى ، فأهداها بدوره إلى شيخه ، وأن صاحباً له آخر قدم من فاس فأهدى اليه « جلابة » من القماش الرفيع الذى يلائم مرح الشباب ، ولا يصلح للشيخ الفاني ، وأراد الرجل أن يرتديها فتذكر الشيخ فاشترى له « جلابة » تناسب الشيخوخة ووقارها بقيمة تفوق قيمة « جلابته » الأولى ، وارتداها فى يوم جمعة ، وما هى إلا أن رآها الشيخ عليه حتى أرسل إليه من يحثونه على أن يهديها إليه ، فانتزعها لفوره من على ظهره ووهبه إياها ، فأرسل الشيخ بالعمامة و « الجلابة » إلى السوق فباعهما ببعض ثمنهما ؛ وشهد « علال » صفقة البيع ، وظن أنهما سرقتا من الشيخ فسأل الدلال عنهما فأخبره بالواقع ، فكبر عليه أن تباع « هديته » وهو يسمع ويرى ، فاشتراها للمرة الثانية ، وجعل يحدث نفسه ويقول :

ترى أبلغ من هوانى على الشيخ أن يبيع ما أهديه إليه ؟ وما هو مصير « هدياتى » الأخرى ؟ أم بلغ من هوان الشيخ على نفسه أن يتاجر بما يهدى إليه الناس ؟ وعلى أية حال فأنا لا أرضى لنفسى هذا المصير . وأحس الشيخ أن الرجل قد بدا يتنكر له ويجفوه ، فخشى أن يفلت من يديه ، ويولى عنه مدبراً . فعزم فى نفسه أمراً ، وعزم أن يلعب آخر دور فى الرواية ، وكان يعلم أن عقيلة علال تملك حلياً ومصوغا ومبلغاً من المال ، فدبر للاستيلاء على ذلك حيلة من عمل الشيطان ، فبلغ بها ما أراد . وذلك بأن أرسل إليها نساء ماكرات من اللائى قد أعدهن لمثل هذا الأمر ، فقلن لها : إن سيدنا يقرئك السلام ، ويقول لك يا بنيتى إنى أرى فى المنام أنك كنت مضطجعة نائمة ، فجاءت امرأة أخرى فاختطفت منك غطاءك الذى يغطيك وكان من الحرير الأبيض بياض الثلج ، فوثبت أنت من سريرك فزعة مذعورة تستغيثين وتملئين الدنيا ولولة وصياحاً : « غطائى ! سترى ! غطائى ! سترى ! » فاجتمع عليك خلق كثير ، فكان اجتماعهم هذا ضغثاً على إبالة ، وزاد فى مصابك ولوعتك أن أحداً منهم لم يتقدم لاغاثتك ، حتى جئت أنا وانتزعت من الناصبة غطاءك ورددته عليك . ثم قلن لها إن تعبير هذه الرؤيا هو أن امرأة أخرى ستأخذ منك زوجك ولا يرده عليك سوى سيدنا ، وهو يستطيع أن يدفع عنك هذا البلاء سلفاً من الآن ، بشرط أن تدفعى إليه ثلاثة آلاف فرنك مقدماً . فرجعت السيدة إلى نفسها تبحث حياتها الزوجية فلم تعثر على أدنى شىء ينبئ بصدق هذه الرؤيا فلم تطاوعها نفسها أن تتهم زوجها ظلماً بغير حق أو أن تظن به الظنون ، وهى ما علمت عليه من سوء . فلم تكترث لهذه الرؤيا ، وقالت إنها أضغاث أحلام . ولكن الشيخ كان جاداً غير هازل ، فدس إلى فتاة من الفتيات اللائى ينتمين إليه من أوهمها أن الشيخ قد دعا الله لها أن يرزقها زوجاً كريماً ، وأن الله قد استجاب له فيها ، وقال : إنى أرى فى المنام أن فلانة قد زُفت إلى علال فى احتفال رائع مهيب . وكانت هذه من الآنسات المانسات ، ففرحت وأعطت الشيخ من العطاء الجزيل ما أرضاه ، وجعلت منذ ذلك اليوم تعرض لعلال ، وتبدى له من زينتها تفتنه وتغريه حتى وقعت من نفسه ، ومال إليها ، وشرع الشيخ يمهد لها الطريق ، فدس إلى علال من يهدمون عليه أسرته الهانئة السعيدة ، ويعاونون سمعه بما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هى إلا أن وقع بين الزوجين خلاف بسيط حتى أخرج علال أم ولده من دارها وأطلق سراحها . وسرعان ما التف به أعوان الشيخ وأحكموا الصلة بينه وبين الفتاة المانسة ، وعقدوا له عليها من ليلته عقدة النكاح

وأتى على المطلقة حين من الدهر تجرعت فيه طعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ، وذاقت من مصائب الدهر وأرزائه ما لا يعلمه إلا الله ، فلقد خسرت زوجها على حين غفلة ، وهى أشد ما تكون حباً له واطمئناناً اليه ، واخلاصاً له وحدباً عليه . وهى تخشى أن ينتزع وحيدها من بين أحضانها ، وهى لا تطيق أن تتحطم سعادتها وهناءتها ليتم هناء عدوتها ؛ ولقد فكرت فى الانتحار ، وهمت به مراراً لولا ابقاؤها على وحيدها ، ولكنها التجأت أخيراً إلى الشيخ مذعنة طائعة ، قد أسلمت له وجهها ، وفوضت اليه أمرها ، ترجوه أن يعيد اليها زوجها ، وله بعد ذلك ما يشاء ويختار ، فرفع القيمة هذه المرة ، وجعلها عشرة آلاف فرنك تدفعها اليه نقداً . وبعد توسلات ومساومات

رَضِيَ فتسلمَ منها خمسة آلاف نقدته إياها ، وباعت فيها بعض ماتملك من حلي ومصوغ . وقعدت في دارها تنتظر النتيجة على أحر من الجمر

وطفق الشيخ يتودد إلى « علال » ويلاطفه حتى نسي الماضي القديم ، وأحلّه من نفسه محلّ الثقة والرضى . وما استيقن الشيخُ ذلك من الرجل حتى قال له ذات يوم — وهما على انفراد — : يا بنيّ إني أرى في المنام أنك لستَ بخير في أهلك هذه التي لم تتمظ بكونها قضتْ زهرة أيامها عانسةً بائرة ، فقد حادت عن طريق الشرف والاستقامة من غير أن تحفظ لك غيباً أو تعترف لك بجميل . وأما كما تعلم إذا رأيتُ الرؤيا جاءت كفلَق الصبح . وكان الشيخ قد أوعز إلى بعض أعوانه فأخبروا علالا بأن عِرْضه أصبح مضغة في الأفواه ، تلوكه ألسنةُ السوء ، وأن النساء في الحمامات وفي الولائم والمناحات يسْلقْنَ أهله بألسنة حِداد . فما كذب الرجل فيما سمع ، وأسرع إلى « خيْرةَ » ففك عصمتها وأعلمها بطلاقها ، وهي ما تزال بعدُ عروساً في خدرها ، ولم ينصل خضابها . وغدا عليه الشيخ في وجوه من أعوانه وشركائه «يتوسل اليه» أن يراجع زوجته الأولى ، ويقول له : يابني إني أرى في المنام أن جبريل عليه السلام قد زوّجكها من فوق السموات العلى ، فأذعن الرجل ، ولم يكد ينقضي يومه ذاك حتى كانت قد جُليَتْ عليه مرة أخرى

لقد اطمأنت « خيرةُ » إلى الأيام ، وحسبت أن زواجها هذا قد جعل حداً لوحدتها وشقائها ، وظنت أنها بهذا الزواج مقبلة على حياة منزلية هانئة سعيدة لا حُزْنَ فيها ولا عناء فاذا بها تتلقى هذه الصدمة العنيفة القاسية الأليمة التي لا رحمة فيها ، فتملأ نفسها حيرة واضطرابا ، وتعاوُها ظلمة ويأساً ، فلم تطق الصبر ولا الاحتمال ، فتحنق وتثور انتقاماً لنفسها ، فاذا هي تنتقم من نفسها ، وقد ضلت السبيل ، واندفعت في الغي وسقطت في الهوة التي لا قرار لها

وأراد الشيخ أن يحج إلى بيت الله الحرام لا إيماناً واحتساباً لأنه ممن يزعمون أن زيارة الضريح الفلاني تعدل عند الله ثواب حجة وعمرة معاً ؛ ولكنه يريد التكسب والارتزاق ، فطاف على الناس يستعينهم على الحج ، فيزعم لهذا أنه سيدعو له الله تعالى عند البيت الحرم ، ويزعم للآخر أنه سيستغفر له عند مقام ابراهيم ، ويتناول على ذلك أجره سلفاً . أما الذين يسلمُ منهم سلفا أثمان « الأردية » و « العمائم » و « السبحات » وما إلى ذلك مما سيحمله لهم معه من الحجاز فهم كثيرون جداً ، لا يكاد يأخذهم إحصاء . وانتهى به المطاف إلى ضحيته « خيرة » فدخل عليها وهي في منزلها ، وقد أرّتْ من حياتها الجديدة الماجنة وأصبحت ذات مال تخجلت لمرآه وأدركها الحياء ، غير أنه أخذ يزين لها ماهي فيه ، ويزعم لها أن الله قد غفرلها جميع ما اكتسبت من الخطيئة والأثم . وقال لها : يا بنيتي إني أرى في المنام أن سيد الوجود (ص) يقول لكِ : طوفي بالبيت العتيق وزوري قبري تخرجي من ذنوبك كيوم ولدتْكِ أمك ، فان لم تستطيعي الى الحج سبيلاً ، فليحُجّ عنك هذا الرجل الصالح (يعني الشيخ نفسه) . ولم يزل بها حتى آمنت له ، ودفعت إليه سائر النفقات ليحج عنها . فلما آب جاءها ببعض الهدايا مكتوباً عليها : « إلى الحاجة خيْرة » !

كان الناس في بحبوحة من اليسْر والرخاء تملأ أيديهم الدراهم والدنانير فكان الشيخ في نعيم وعيش رخيم ، يأتيه رزقه رغداً من كلّ مكان : هذا يعطيه رطلاً من اللحم ويجعله له راتباً يومياً ، وذاك يعطيه شيئاً من الخضر والفواكه ، ويجعله له عطاء غير مجذوذ ، وذلك يُهدي اليه قنطاراً من السميذ ، ويجعلها له جراية شهرية وهكذا الخ الخ ، فكان إذا دخل السوق خرج منها و « قفته » ملآى - مجاناً - بكل ما هو في حاجة اليه . فلما أعسر الناسُ ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم من شدة ما يعانون من ضنك وضيق نضبت موارد الشيخ ، وانقطعت عنه الرواتب والعطايا ، ولم يعد يملأ «قفته» بالمجان ، ولم يعد يلتمس لنفسه صدقة جارية عند أحد الباعة إلاّ وجدها قد بطلت . وقطعت الأزْمَة دابرها ، فالأزمة إذن هي السبب الأول في مُصاب هذا الشيخ ، وزملائه من الأشياخ ، فان كان لا بُدّ لهمْ أن يلوموا فليلوموا هذه الأزمة الخانقة ، وليلوموا بعدها هذه اليقْظة الشاملة التي شملت الدنيا كلها ، ثم يأتي بعد ذلك دَوْرُ هؤلاء المصلحين

(وهران) **محمد السعيد الزاهري**

الحياة الأدبية فى الحجاز

بقلم عبد المجيد شبكشي

كان الأدب العربى مثال الكمال والروعة والازدهار والانتشار فى دولة الأمويين وفى صدر الدولة العباسية . وكان نصيب الحجاز من هذا الازدهار طيباً مرموقا ، واقتضى خلوه من الأحداث السياسية أن يحيا مغموراً حتى تجرد من العلم والثقافة وصفر من من الرجال الممتازين ، وعملت الهجرة على محو مقوماته ومميزاته

ثم بدرت بادرة من بوادر النهوض ونسمة من نسمات الحياة بعد فنفخت فى الحجاز روح اليقظة الفكرية فأخذ يسترجع ماضيه بفضل جهود البعض من أبنائه المخلصين الذين جرى فى عروقهم الدم الحجازى الحر فتأثروا لتدهوره تأثراً قوياً جعل قلوبهم تتقطع أسفاً وحزناً على الماضى العزيز الذى ذهب هباء منثوراً وغرق الحجاز بعده فى الجهالة وأضاع تراثه المجيد

مرت اليقظة فى أفكار بعض شباب الحجاز وأحسوا بالواجب الوطنى وتنبهوا إلى فضل الأدب فى نهضات الشعوب فتأسست لجان للاجتماع ، ونواد للأدب حيث قاموا فنالوا حركة أدبية لا تشوبها شائبة بالنسبة إلى تلك الحالة وبالنسبة أيضاً لعدم وجود مؤهلات كافية لدرس الأدب ، حتى المدارس كانت إذ ذاك بسيطة جداً يتخرج منها التلميذ وهو لا يعرف من مواضيع الحياة شيئاً

ثم جاء دور التكوين للنهضة الفكرية وكان ذلك قبل عشرة أعوام تقريباً نظم فى خلالها أدباء الحجاز الشعر وكتبوا النثر ونشروا نماذج منه وأعلنوا عن أفكارهم وسجلوا آراءهم ، فشعر الحجاز حينذاك بدبيب الحياة يتمشى فيه ، وأحس بجمال الأدب والفن معاً ، وحينذاك قام أحد أدباء الحجاز البارزين [1] وأصدر كتاباً أدبياً يضم بين دفتيه مختارات لأدباء الحجاز فأثبت للأمة أن هناك أدباً راقياً يدعى الأدب الحجازى . وقد تجد فى هذه المجموعة روح الحجاز الأدبية ممثلة من حيث صحة النزعة وبساطة التفكير وجماله ، فكان عمل هذا الأديب بشير يقظة فكرية منظمة ،

وقد كان الأدب الحجازى فى ذلك العهد بسيطاً شأن كل شىء فى بدايته . ولكن الأفكار كانت سائرة مع الحياة متأثرة باتجاهها فلم يمض وقت طويل حتى نضجت تلك الأفكار ، وازدهر الأدب بعض الازدهار ، ولولا ما نشأ بعد من عوائق شتى وقفت بالحركة الفكرية بعض الشىء لاضطرد تقدمها . ونستطيع أن نقول بحق إن الموفقين من شباب الحجاز فى الناحية الأدبية قليلو العدد جداً ، والكتاب البارزين فى الحجاز لا يزيدون على عشرة ، ولكن أقلامهم الممتازة هى التى صورت مبلغ تأثر الحجاز باليقظة الفكرية ومدى إدراكه . أما قراء الأدب فكثيرون وهم ممن أنجبتهم المدارس الحالية ، وهؤلاء بلا شك يرجى لهم مستقبل طيب مرموق

والحجاز اليوم بفضل الله ثم بفضل جهود أبنائه المخلصين متقدم بخطوات واسعة الى الامام ، وميال الى احتذاء أدب مصر ونزعاتها الفكرية ، ولا غرابة إذا شابه البعض من أدباء الحجاز بعض أدباء مصر فى روحهم الأدبية وصار يكد ويجتهد فى الحصول على ما يريده فوق ذلك من المثل الأعلى حتى يدرك المرمى الذى يقصده !

والأدب الحجازى اليوم رمز لما فى أفئدة الحجازيين من عواطف واحساس وحب وولاء ، ولما فى نفوسهم من شعور وكرم أخلاق ، ولما فى ضمائرهم من مبدأ واستقامة وغرام عميق بالحرية . وتختلف الأوساط الأدبية اليوم باختلاف قوتها ومداركها وتطورها وتجددها وعما يستتبعه هذا الاختلاف من تأثر بأساليب النقد البرىء والتأمل الممتع والبحث الناضج ، أو النقد المتهافت والنظرات الجوفاء والبحث الضعيف الخ . وهذا الاختلاف يعطينا صورة واضحة للتطور والتجدد فى الأفكار تتحد مع نواميس الكون فى نشوئه وتطوره . وليس غريباً على الحجاز أو الحجازيين أن يتأثروا بمؤثرات هذا العصر الحديث وفنونه ونزعاته ، وأن تكون حياتهم ميالة الى اقتباس أساليب جديدة فى الحياة والأدب ، فان ذلك من بوادر النجاح وأسبابه ، وهو دليل اليقظة ، ونؤمل أن ينال الحجاز نصيبه من التقدم والشهرة والحرية التى هى من مبادىء الحياة الصحيحة فى هذا العصر . على أن هذا الروح الأدبى السامى المتمثل اليوم فى

(١) هو الأستاذ محمد سرور الصبان مدير إدارة وزارة المالية

الحجاز حسب ما هو مشاهد وملموس هو بلا شك تأثر صحيح ومعقول ، وهو المأمول أيضاً لبلاد لها ماض أدبي حافل

وأدباؤنا يشعرون ويتأثرون بعوامل الحياة الفكرية ويجيدون التصرف في فنون القول ويبدعون في سبك العبارات ووضعها في قالب من الحكمة والذوق ليحوزوا قصب السبق في معترك الحياة الأدبية وليرفعوا اسم بلادهم عالياً ، وهذا ما يرجوه ويناصره كل أديب حجازي وهب موهبة الاحساس والشعور بالحياة وفرائضها — وليس ولله الحمد ثمة ركود ولا فتور في النفوس والأفكار

(مكة) عبد المجيد شبكشي

صورة من الحياة العلمية في مصر

٤ – تقي الدين السبكي

بقلم محمد طه الحاجري

تتمة

ولقد خلفت له هذه الولايات متاعب غير قليلة ، وأثارت عليه دفائن من الحقد وسخائم القلوب ، فقد نقم عليه ولايته قضاء الشام قوم من أهلها كانوا يطمعون فيها ؛ وأخص هؤلاء أسرة جلال الدين القزويني قاضي قضاة الشام من قبل ، وطبيعي أن يأخذ ذلك الحقد سبيله من السعاية والوشاية والتحريض عليه والتنفير منه ؛ ثم كانت ولايته لخطابة الجامع الأموي مما زاد الأمر ضغثاً على إبالة ؛ فقد كانت تلك الخطابة في بيت القزويني كذلك ، ويقول زين الدين عمر بن الوردي في تاريخه : « لما توفي الخطيب بدر الدين محمد بن القاضي جلال الدين القزويني خطيب دمشق تولى السبكي الخطابة ، وجرى بينه وبين تاج الدين عبد الرحيم أخي الخطيب المتوفى وقائع ، وفي آخر الأمر تعصبت الدماشقة مع تاج الدين ، فاستمر خطيباً » . وكذلك أغضبت ولايته مشيخة دار الحديث الأشرفية قوماً من أهل الشام كانوا يرشحون لها شمس الدين بن النقيب ، ولقد سيقت اليه هذه الولاية وهو كاره ، إذ كان قد رأى أن الذهبي هو الأحق بها ، وقد عينه لها ، لولا سلطان الشهوات كما سنرى ذلك

هذا وجه من وجوه الحالة في الشام ، وقبيل مما كان يسبب له المتاعب والآلام ؛ وهناك وجه آخر يتعلق بما أشرنا اليه من قبل عما أوجده مذهب ابن تيمية من تفريق وخروج على المذهب الرسمي السائد

وقد رأينا أن اختياره كان منظوراً فيه إلى تلك الحالة من السلطان ، ونقول الآن إن القوم في دمشق كانوا يرون فيه ذلك أيضاً ، وكانوا يأملون أن يخلصهم من آثار « الحنابلة » وما أثاره زعيمهم القوي الجديد ؛ ولعل المطامع الشخصية حسبت في ذلك سلماً يمكن أن ترتقيه وتصل به إلى أغراضها في مظهر ديني سابغ ؛ ولكن تقي الدين كان أحكم من أن ينخدع بمثل هذا ، كما كان أكبر من أن يخلط في تقدير الأمور ؛ فأغضب الطامعين ولم يرض جماعة المتشددين المتكلفين

وهنا يحسن بنا أن ننقل نص ما حكاه التاج السبكي عن أبيه في أثناء ترجمته للحافظ أبي الحجاج المزي ، ففيه صورة دقيقة حية لما نحن بصدده ، قال :

« . . . . وحكى لي ، فيما يحكيه من تسكين فتن أهل الشام ، أنه عقب دخوله دمشق بليلة واحدة حضر اليه الشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي — وكان الشيخ الامام يحبه — قال دخل الى وقت العشاء الآخرة ، وقال أموراً يريد بها تعريفي بأهل دمشق ، قال : فذكر لي البرزالي وملازمته لي ، ثم انتهى الى المزي فقال : وينبغي لك عزله عن مدرسة دار الحديث الأشرفية ، قال الشيخ الامام : فاقشعر جلدي ، وغاب فكري ، وقلت في نفسي : هذا امام المحدثين ! والله لو عاش الدارقطني لاستحيا أن يدرس مكانه ! قال : وسكت ، ثم منعت الناس من الدخول علي ليلا ، فقلت هذه بلدة كثيرة الفتن ؛ فقلت أنا للشيخ الامام : إن صدر الدين المالكي لا ينكر رتبة المزي في الحديث ، ولكن كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها من أن شيخها لا بد أن يكون أشعري العقيدة ، والمزي وإن كان حين ولي كتب بخطه أنه أشعري ، إلا أن الناس لا يصدقونه في ذلك فقال : أعرف أن هذا هو الذي لاحظه صدر الدين ، ولكن من ذا الذي يتجاسر أن يقول : المزي لا يصلح لدار الحديث ؟ والله ركني ! ما يحتمل هذا الكلام !

فأنت ترى أن أول ما ووجه به السبكي في الشام هو الانكار على البرزالي والمزي وأضرابهما ، ممن يتهمون بالميل مع ابن تيمية وأن أول ما تقدم به اليه فقهاؤها هو « اعلان الحرب » على هؤلاء ، وموقف السبكي من هذا موقف نبيل مجيد ، فقد رأى الأمر فتنة لا ينبغي أن يفتتن فيها مع المفتونين ، فركن الى دينه وضميره ، وترك بنيات السبل ، ولم يعبأ بهذه الصغائر وما تنطوي عليه من انذار وتهديد ، ولبث مصاحبا للبرزالي ملازما له ، الى أن خرج إلى الحج وقضى نحبه ، ثم ما فتئ يذكره ويثني عليه أطيب الثناء ، وأقر المزي في مكانه بدار الحديث الى أن مات سنة ٧٤٢ هـ ، وكان يكبره غاية الاكبار ، ويحث ابنه على ملازمته والانتفاع به ، لا يصرفه عن ذلك تقولات المتقولين ولا ازورار المزورين

ولما مات المزي كان ثمت مظهر آخر من مظاهر هذه الفتنة في تعيين خلف له ، فقد كان الذهبي هو وحده البقية الباقية من رجال الحديث الجديرين بتولي مشيخة « دار الحديث » ولكنه كان متهماً بمشايعة الحنابلة شيعة ابن تيمية ، فمال عنه القوم لذلك ، ورشحوا شمس الدين بن النقيب ، ودعوا له وألحوا في الدعوة . أما السبكي - واليه حق التعيين - فلم يغلبه الهوى على الحق ، ولم تأخذه في سبيل العلم عصبية ، ولم يبال بصياح الصائحين ، فعين الذهبي لذلك المنصب . وهنا اشتدت ثورة القوم وعلا صخبهم ، وهو مصر على رأيه حتى لم يبق بد من حضور نائب الشام وكان في ذلك الحين « الطنبغا » ، فلم يستطع التوفيق . وأخيراً رأى شيخ الحنفية أن تحل الأزمة بأن يتولى المشيخة السبكي نفسه ، ووافق الأمير على هذا الرأي وهو يقول : « أعلم الناس بهذا العلم الذهبي وقاضي القضاة ، وقاضي القضاة أشعري قطعا ، وقطع الشك باليقين أولى . » وانتهى الأمر على ذلك بعد أن كاد يفضي الى فتنة لا يعرف مداها

فموقف السبكي هذا من شيعة ابن تيمية وإغضائه عن العصبية المذهبية هذا الاغضاء وعدم مسايرته الأشاعرة في كل ما يشتهون أفسح المجال أمام المتخرصين ، ومكن الحقد من أن يجد سبيله معبدا بين جمهور الناس وفي مجالس الخاصة ، ولا سيما في مجالس الأمير نائب دمشق ، ففسدت الصلات بين الشيخ وبين أغلب الذين تولوا نيابة الشام ، وكثيراً ما قامت الحرب بينه وبينهم ، وما كان يطمئها إلا ما كان ولاة ذلك العهد معرضين له من العزل الوشيك أو القتل المفاجئ

على أن السبب الأول في توتر العلائق بينه وبين النواب يرجع - في حقيقة الأمر - إلى صلابته في الحق ، وصراحته في تقريره ، وتقديره لقدر منصبه ، واعتباره إياه حرماً لا ينبغي لأحد أن يتطاول اليه أو ينال منه ؛ فهو الحفيظ على الحق الذي جاء الشرع ببيانه ؛ فكل تفريط فيه ، أو تمريض له ، أو ملاينة في تنفيذه فانما مردها إلى هذا الشرع الذي يقدسه ، وحاشاه ! وكان الولاة من ناحية أخرى ، قوماً عجما ، أدعياء في الدين ، لا يتعدى إيمانهم مظاهرهم ، ولا يعرفون الحق إلا أمراً ينفذ ، وشهوة تقضى ، وعتواً واستكباراً في الأرض ، إلا قليلاً منهم . ثم كان يزيد اضطراماً ما كان يلقيه فيها من السعايات والنمائم من كانوا يداخلونهم من أهل الشام ، ومنهم بعض العلماء مثل شهاب الدين العمري الذي كان يقع فيه في مجلس الأمير ايدغمش [1] ومما يدل على دسائس القوم عند الولاة أن أحد هؤلاء الأمراء ، واسمه فيما يورده صاحب الطبقات (طغره تمر) [2] كان فيما يقول من أصحب الناس له في مصر ، فلما جاء إلى الشام غيّره عليه الشاميون ، وأغاظهم عليه امتناعه من امتثال أوامره

ولقد هم السبكي مرة أن يستقيل من منصبه ، وكان ذلك في ولاية ايدغمش سنة ٧٤٣ [3] ، وكان قد بلغ في معاندته وإيذائه مبلغا كبيرا . ولكنه يظهر أنه رأى في هذه الاستقالة تحقيقا لشهوته ، وتخليا عن واجبه ، فعدل عنها واستمر في مجاهدته . وأراد ايدغمش أن يتخلص منه ، وأن يلتجئ إلى دعوى الدين في محاربته ، فجمل يجمع الفقهاء للفتوى عليه — وما كانت تعوزهم مقدمات الافتاء — وكاد الأمر يتم للنائب لولا أن جاء « البريدي » الى الشيخ يطلبه الى باب السلطان في أمر من الأمور ، فذهب الى مصر ، وهناك أوجد أزمة غير هينة الحل ؛ فقد أصر على

(١) الأمير علاء الدين ايدغمش الناصري ، وقد كتب المقريزي ترجمة لحياته عند كلامه عن خوخة إيدغمش (ج٢ — ص٣٥ — ط بولاق)

(٢) هكذا يقرأ اسمه في نسخة الطبقات المطبوعة ، ولعله طقزدمر كما يتردد كثيراً في ابن إياس والمقريزي ، وتولى نيابة دمشق سنة ٧٤٥ ومات أول جمادى الآخرة سنة ٧٤٦

(٣) هكذا يحدد التاريخ التاج السبكي ، وفيه نظر ، فان مدة نيابة ايدغمش ، كانت كما يقول المقريزي : من ٢٠ صفر سنة ٧٤٣ إلى ٣ جمادى الآخرة من هذه السنة

ألا يعود الى الشام وفيها ايدغمش ، وليس من اليسير عزل نائب من أجل قاض مهما علت منزلته . ولكن القدر كان أسرع إلى حل هذا الأزمة وأقضى فيها من كل تدبير وقضاء ، فقد جاء الخبر بموت ايدغمش موت الفجاءة ، وعاد الشيخ الى دمشق يعيد سيرة الحق المجاهد الظافر

وممن آذاه واضجره نائب اسمه « أرغون شاه » ، تولى نيابة الشام سنة ٧٤٨ ، ويروى أن الشيخ كان يمسك بطرزه ويقول له : « يا أمير ! أنا أموت وأنت تموت ! » وتأمل أنت في هذا قوة الايمان والجرأة في الحق . وقد ظل ذلك الرجل في نيابة الشام سنتين ثم قتل

كان آخر هؤلاء النواب أرغون الكاملي (١) ، وكان رجلا فظا غليظ القلب . وقد حكى تاج الدين أن أباه « حكم مرة في واقعة جرت وصمم فيها ، وعانده أرغون الكاملي نائب الشام وكاد الأمر يطلخمّ شاما ومصر ، فقد ذكر القاضي صلاح الدين الصفدي أنه عبر اليه وقال : يا مولانا ! لقد أعذرت ، ووفيت ما عليك ؛ وهؤلاء مايعملون الحق ؛ فلم تلق بنفسك الى التهلكة وتماديهم ؟ فتأمل مليا ثم قال :

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

ويا عجبا لتلك الشيخوخة التي لا تزيدها الأيام إلا صلابة وقوة ، وذلك الايمان الذي لا تزيده مظاهر القوة إلا غلبة واستعلاء

وهكذا كانت حياة تقي الدين السبكي في الشام : ملجأ للحق يلوذ به ويعتصم ، ومثالا للخلق القوى الذي لا ينثلم ، وآية من آيات الله على قوة الروح الانسانية متى خلصت من الرعونات والترهات فلا يغلبها غالب

ولقد كان الحنين الى الوطن يهز ذلك الشيخ هزا ، فذهب الى مصر ، وخلع عليه سلطانها ، ثم عاد منها الى دمشق سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م)

وفي ذي القعدة سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤) نال منه الضعف وأدركه المرض ؛ ولما اشتد عليه استخلف على قضاء الشام ابنه تاج الدين ، فتقلده . وكان في أثناء مرضه شديد اللهف على العودة الى وطنه عظيم الحرص على أن يدركه فيها أجله ؛ فسافر الى مصر

(١) هو الأمير سيف الدين تولى نيابة دمشق في ١١ شعبان سنة ٧٥٢ وقد أورد المقريزي ترجمة لحياته بمناسبة كلامه عن دار أرغون (ج ٢ ص ٧٣ ط بولاق)

ولبث فيها أياما يكابد العلة ، حتى أدركته الوفاة ليلة الاثنين ٣ جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ (١٠ سبتمبر سنة ١٣٥٤ م) وخلف ميراثا جليلا ضخما (١) مما صنفه في كثير من الفنون ، وميراثا آخر أجل وأضخم في ابنيه الملامتين : بهاء الدين وتاج الدين . ولعل الله يوفقنا لدراسة حياتيهما ، ورسم صورة لهما

كلية الآداب **محمد طه الحاجري**

(١) قال ابن العماد في شذرات الذهب إنه « صنف نحو ١٥٠ كتابا مطولا ، ومختصر المختصر منها يشتمل على ما لا يوجد في غيره من تحرير وتدقيق وقاعدة واستنباط »

لجنة التأليف والترجمة والنشر

التصوير في الاسلام

عنـــد الفرس

للدكتور زكي محمد حسن

أمين دار الآثار العربية

أتمت لجنة التأليف طبع هذا الكتاب ، وبه تصدير للمستشرق الكبير الأستاذ جاستون ڤييت ، ومقدمة بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام

وفيه موجز لتاريخ إيران من الأزمنة القديمة حتى العصر الحاضر ؛ ثم فصل عن نشأة التصوير الفارسي وما يقال عن حظر الشريعة الاسلامية التصوير وعمل التماثيل ، ثم ستة فصول أخرى تبحث في تطور صناعة التصوير في إيران وفي المدارس الفنية المختلفة التي ازدهرت فيها : مدرسة بغداد أو مدرسة العراق ، المدرسة الفارسية التترية ، عصر تيمور وخلفائه ، بهزاد ومعاصروه — مدرسة بخارى ، المدرسة الصفوية ، عصر الشاه عباس وخلفائه وظهور التأثير الأوربي

والكتاب خلاصة ما وصلت إليه أبحاث علماء الآثار ومؤرخي الفنون الاسلامية في انجلترا وفرنسا وألمانيا ، ودراسات خاصة لما في دار الكتب المصرية وأهم المتاحف الأوربية من بدائع الصور الاسلامية

وبين صفحات الكتاب خمس وخمسون « لوحة » كبيرة مستقلة فيها سبعون رسما من أهم ما صور المسلمون

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

قرب الموتى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يا روح إلف أليف الموت والحُفَرِ
قومى اسألى عن أليف الهم والسهرِ
أو فابعثى هاتفاً بالليل يؤنسنى
لو كان لِلْمَيْتِ من شوق ومن ذِكَرِ

وحلِّقى فوق قوم كنتِ زينتهم كالطير تهبط فوق الوكر فى الشجر
فان نورك نور النجم يرشدنا ورحلة العيش تحكى رحلة السفر

أو كالملائك تهدى وهى خافية
وتُشْعِرُ النفس طُهْراً ليس فى السِّيَرِ

عجز عن الشر لم أبصره فى نفر ياشر ما خَلَفَ الأحباب من نفر
غرارة ربما لو عشتِ ما بقيت إذ أعداك الردى عن مهبط البشر
هل تلك طبع الصبا تودى الحياة به لا بل غرار فؤادٍ غير ذى نُكُر
فصانك الله فى أمن وفى كَنَفٍ وقُدْسِ طُهْر كصون المرء للذخُر
كأنما أنتِ ذُخْرٌ لا يجود به على الدُّنَى وهى من ضَيْر ومن أشر
ما أقرب الميت من حى و إن بعدت مكانة بين هذا الوِرْدِ والصَّدَرِ
إن الأُولَى خلفونا بعدهم ومضوا ما خلَّفونا و إن غابوا عن النظر
هم فى الأمانىّ والأرواح والذِكَرِ مناو فى القلب والأشجان والفِكَر
فكيف نجزع من فقْدٍ وما انتقلوا إلا إلى النفس حرزا رنم من غِيَرَ
يا قرب دارهمُ من واصل لهمُ بالنفس إن لم يكن بالعين والأثر
ووحشة النفس من حىٍّ يغايرها أشد من وحشة فى السمع والبصر

من حاضرين و إن ماتوا و إن بعدوا
و إن غدوا كحديث الركب والسمر

ورب ذكرى تعيد المَيْتَ فى شبح يكاد يُلمَسُ لولا رادع الحذر
ماض من الدهر والأقوام يخبرنا أن لا مسافة بين المهد والحُفَر

عبد الرحمن شكرى

زهرتى المختارة

بقلم الياس قنصل

يازهرتى العاطرة الناضرَهْ هل شوّهتْ كفُّ البلى حسنَكِ؟
جئتكِ فى الليل يدٌ جائره لو أنها تمثلتْ حزنَكِ
لفرقتى ، ما سبَّبتْ بينَكِ

يا زهرتى جمالكِ المبدعُ لتبدعى البهجةَ فى روضتى
ورصَّعت ذاك البها أدمعُ من الندى الباكى بلا مقلةِ
لتسكبى العزاء فى مهجتى

يازهرتى عنكِ سينأى الفتونْ وقد نأيت عن حمى الشاعر
و بعد أن كنتِ مقرّ العيونْ ستستحين من فتى ناظر
يعرضُ عن جمالكِ الفاترِ

أما أنا يا زهرتى ، فالأسى أنْشَبَ فى جوانحى مخلبَهْ
أبعدكِ الدهرُ وقلبى احتسى من المرار أكؤساً مصئبَهْ
أربتْ على أناته المرعبَهْ

يازهرتى كيف أعزى الزهور إذا رأين عرشك الخاويا
تطوف حوله بقايا العبيرْ هامسة : ولىّ القضا نائيا
بها ، وغادر السنا باكيا ...

والطيرُ إن تسألْ ، فماذا يكونْ لها جوابى عند تغريدها
كم رفرفت فوقك بين الغصونْ وأسمعتْكِ من أناشيدها
نجوى ، جلالها بترديدِها

يازهرتى ليهنأ السارقُ بما حبته روضتى من أريجْ
وليغتنم نضرتَكِ الرائقُ وليسكر النفسَ بحسن بهيج
فنى ثناياكِ بهاه يموجْ

يا زهرتى كذا أرادَ القضاءْ بحكمهِ ، فحزنُنا لا يفيدْ
ويأسنا يبعدُ عنا العزاءْ ويجعل العيشَ بهذا الوجودْ
حشرجةً ، فيها العناء الشديدْ ...

(عاصمة الأرجنتين) **الياس قنصل**

الليلة الثانية عشرة

Twelfth Night

— ٢ —

المشهد الثاني : على ساحل البحر

« تظهر ڤيولا والقبطان والبحارة »

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

ڤيولا : أىّ بلادهذه ؟ رفقتى !

القبطان : إيليريا !

أخى بِالّيسيومُ !

بجنّة يخـــلد سكانها   ويكمل الأنس بها والنعيم

مالى و إيليريا !.. مَهِ !.. علّه   مثلى نجا ؛ هل مستخيلاً أروم ؟

مُعجزةٌ للحظّ أن تسلمى !

ڤيولا : بمثلها الحظ لصِنوى كريم !

القبطان :

صدقتِ ياسـيدتى ، إننى   أعضُد رَجْواكِ ، وربى عليم

لما طغى الماء على فلكنا   وزاغ منكم عن حِجاه الحلم

وَأدْتُم الزورقَ حتى لقد   كاد من الكظّة ألا يعوم(١)

رأيته يسبح فى لجــةٍ   تهوى به حيناً وحينا تقوم

رجاؤه شدّ بأعضــاده   وأنّه ذاك الشجاع العزوم

فشــد كفّيه إلى قائم   فى البحر ضمّ الطفلِ صدر الرؤوم

كأنه (أريان) مستمسكا   بظهر ذاك الحيوان المظلم

والمائجُ المحنَق من حوله   قد راضــه فهو ولىّ حميم !

راقبته ما اسطعتُ حتى اختفى   عن ناظرى تحت ظلال الغيوم !

ڤيولا :

شكراً لما طَمْأنْتَ ، علّ اتّسا   تجمع قلبين بقلب رحيم !

سلامتى أوحت — وأيّدتَ ما   أوحته لى — أن ابن أمّى سليم

أتعرف هذى البلاد ؟

القبطان : أجل   بلادىَ أعرفها جيّـــدا

ثلاثٌ من السّاع تكفى لتو   صِلَنا منشأى ثَمّ والمولدا

(١) أدتم : أثقله

ڤيولا : ومن يَتَّلى حكمَها ؟

القبطان : سيّد   زكا خُلقاً ، وسما محتدا

ڤيولا : وماذا اسمه ؟

القبطان : أرِسنُو

ڤيولا : أرِسنُو ؟   أبى كان سمّاه لى مُحْمِدَا(١)

وأعزبَ كان !

القبطان : وأعزبَ لَمْ   يَزَلْ ؛ فقريباً توشّى الصّدى(٢)

بإغرامه بأوليڤيا الجميـ   ـلةِ

ڤيولا : ما هى ؟

القبطان : عذراء مثل النّـــدى !

أبوها شريف قضى منــذ عا   مٍ وأوصى بها نجلَه الأوحدا

أخاها الحبيبَ إليها الذى   به بعــد ذلك ثنىّ الردى

فآلت أنّى لا ترى أو تعا   شِر مِن بعده رجلا أبدا (؟)

ڤيولا :

ويحهَا مِن مسكينة ! آه لو أخْـ   ـدمُها ! ربمـا أسرِّى أساها

ربما أستطيع أن أنصُرَ الحبّ   وألقى بذوره فى رُباها

وأرِيها صوابَها فى هوى الدو   ق ، وأنشى دنياه فى دنياها

ريثما تستقرّ حالى ، ويُدرَى   مَنْ أنا

القبطان : خطةً مُحالا أراها

إنّها حرّمت على رُسُل الخطّا   ب طرّاً أن يَقربوا من حِماها

لن ترى وجه طارق منهم قط   ولا الدوق نفسه إنْ أتاها

ڤيولا :

لك يا سيدى شمائل غُرٌّ   لا تراها عينٌ فلا تهواها

غيّبت فيك باطناً من معانيـ   ـها ، وحلّتك ظاهراً من حِلاها

لا تَلُمْ إن قلتُ : الطبيعة حابَتْـ   ـكَ ، وقل لى هل أنت ممن رَشاها ؟

ليس هذا من دأبها ؛ فهى تكسو   حيّةَ الروض لينها وبهاها !

وإليك اطمأن قلبى ، وما أحـ   ـسب نفسى تضِلُّ فيك هداها

كن عِمادى فى خطة ربّما تصـ   ـعب ، لكن لاشك فى جدواها

(١) أحمدت الرجل : رضيت فعله وتصرفه

(٢) يراد بالصدى الاشاعة وتوشى : انتشر

دراسات

فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٣ —

تألق نجم بيراندللو بعد النجاح العظيم الذى أحرزته روايته « المرحوم ماتياس باسكال » ، وكسفت شمسه أسماء الروائيين المعاصرين ، وبدأ النقدة يتحدثون عن فنه ويولونه اهتمامهم ، ثم اختير ليشغل كرسى أستاذ الأدب الايطالى بالجامعة وانتعشت حالته المالية بما أمكن أن يمحو من سجل حياته بعض المتاعب المادية ، وأن يسدل عليها ستار النسيان

ولكى نعطى صورة واضحة من حياة هذا الكاتب وارتباطها بفنه ، نقول إن التغلب على المتاعب المادية لم يكن كل شىء ، إذ هبت فى بيته عاصفة عكرت الجو مرة أخرى ، فأعصاب زوجته تحطمت ، ونوباتها العصبية تزداد بسبب غيرتها العمياء من تلميذات زوجها فى الجامعة ، وقد حاول بيراندللو كثيرا أن يزيل شكوكها وأوهامها ، فسمح لها بألا تعطيه من راتبه إلا ما يسمح له بابتياع سجائر أو أجر ترام ، غير أن هذه المحاولات فشلت ، وأخذ هذا الحيوان السام الذى يدعونه الغيرة يمتص من شبابها ودمها بعد أن قدم اليها أسلحة جديدة من الشكوك والأوهام ، ولم يكن لرأى زوجها أية قيمة عندها ولا أى تأثير فى نفسها . وعلى حين فجأة ذبل جمالها وانطفأ بريق عينيها ، وأصبحت تعتقد أنها مراقبة ومكروهة حتى من أولادها ، وأنهم جميعاً قد اتفقوا على أن يدسوا لها السم فى الدسم . ولما اشتد بها الداء فكر إخوتها فى ادخالها إحدى مصحات الأمراض العقلية

وكانت الحرب العظمى قد شبت واختير ابنه البكر لخوض غمارها ، وفى غضون ذلك وقع أسيرا ، أما ابنه الأصغر فكانت تجرى له عملية جراحية باحدى مستشفيات روما حتى اذا اجتاز دور النقاهة أرسل فورا الى خطوط النار

وكانت ابنة بيراندللو تتأذى من سوء معاملة الأم لها ؛ ولما فقدت الأمل فى ازالة الشكوك نحوها حاولت الانتحار ، غير أنها نجت ، ففكرت فى الهرب ودخلت أحد الأديرة لتقضى بقية حياتها بين جدرانه

وكان ستيفانو — والد بيراندللو — قد وصل من صقلية ، بعد أن صمد دهرا فى وجه المصائب ، فمن موت زوجه ، إلى افلاس تجارته وضياع ثروته ، الى غير ذلك من الآلام والمتاعب التى انتهت بفقد بصره

ولما كان بيراندللو مشغولا فى خلال هذه الفترة بمصير ولديه اللذين ذهبا الى الحرب ، ومضطراً الى أن يقضى يومه بين زوجة مأفونة ، ووالد عاجز ضرير ، وابنــــة وضمنه بميسم العار ، كان لا بد من أن تخرج هذه الأشباح المعذبة التى تسكن ذهنه ، وأن يقدمها للناس فى ثوب درامى عنيف يجمع بين روح الواقع وبين الخيال

وهكذا غصت المقاعد فى مسرح سكالا بميلانو ليشهد الجمهور مسرحية بيراندللو الجديدة « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف Sei persone alla ricerca d'un autore » التى ابتدع فيها فنا جديدا وعالما يموج بالصور والأشباح والشخصيات المجزأة

* * *

والواقع أن فترة المتاعب والآلام التى اجتازها هذا المؤلف

وسأجزيك ما تطيب به نفـ ... ـسُك مما ينالنى مِن جَنَاها

زُرْنِى الدوق فى كساء وصيفٍ ... عارضاً خدمتى لكى يرضاها

فكأنى وقد تسربت كالمـا ... ءِ جرى بين نفسه ولِحاها (١)

واصطفانى لنفسه ، وشكانى ... مطمئناً من همِّهِ ما عَنَاها

وسرت فى أعماقها رُوحُ ألحا ... نى فهزَّت أوتارَ موسيقاها

واطَّبته فصاحتى كرسول ... نحو اوليڤيا يُذيب صَفَاها

كن لِسرِّى قبرا ؛ وأترك حالى ... لليالى تختارُ لى عُقباها

القبطان :

نفِّذيها ؛ وفى قرارة نفسى الـ ... ـسر لن ينتهى إلى أدناها

إن أحرِّكْ به لسانى فلا التذْ ... ـتُ عيونى بنُورها وكَرَاها !

فيولا : لك شكرى ، هيَّابنا !

القبطان : ربَّ سدِّدْ ... مِن خُطاهُ ! ولا أقول: خُطاها !

على أحمد باكثير

(١) اللحاء قشر العود أو الشجر

الثائر فى كافة أطوار حياته هى التى دفعته إلى أن يقول بلسان إحدى بطلاته : « ليست الأعمال إلا حقائب خاوية تملؤها أذهاننا »

وهى التى أدت به إلى أن يكره العقل ، لا لأن العقل سجن ، بل لأنه صدفة فارغة لا تملؤها سوى الغريزة العمياء . فالحوادث مثلها مثل الأكياس لا يمكنها الوقوف وهى فارغة . كذلك إذا أريد أن يظل الحادث حياً فى الذاكرة ، منتصباً بين ظلال الوعى وجب أن يكون له معنى واضح وأن تستقصى الأسباب والبواعث التى أدت اليه

حتى نظريات بيراندللو ليست سوى إنذار بهدم المنطق وإفلاس العقل وتفوق الخيال على الحقيقة . وعنده أن للأرواح لغة خاصة تتفاهم بها ووسائل تدفعها من وقت لآخر للقيام بأعمال باهرة على حين أن الشخصيات المادية لا تتجاوز فى علاقاتها غير الحديث العادى

ومما يحملنا على الاعتقاد بأن نظريات بيراندللو البيسكولوجية لا تصل به إلى تفسير الناس ، أنه يلجأ شخصياً إلى هؤلاء الناس لتفسير ألغازه . ولولا روح المرح والفكاهة التى تخلع على مؤلفاته ظلاً هائماً ومسحة خاصة لتباعد بينها وبين مركز الألم لكان فنه الروائى هو الجحيم والانسانية المعذبة

لقد درس كل من إدجار ألن بو وستيفنسن نظرية ازدواج الشخصية وفوضاها فى الانسان . أما بيراندللو فهو يقسم الشخصية فى فنه الروائى إلى عشرة أو مائة أو ألف أو أكثر . فالفرد عنده مكون من شخصيات متناقضة كالحيوان الخرافى الذى تتحدث عنه أساطير الاغريق . وهو لا يعرف الأخلاق والعادات ولا يقدر الارادة أو الشهوة المغلبة لأن جميع مشاعره قابلة للتحول والتغير والتأثر

على أن أهم ما يرتكز عليه فنه ظواهر التحليلات النفسية وتعدد النازعات . فكل شىء فى نظره مرجعه إلى التفسير ، بل قد يجوز أن يتخذ شخص ما صورة معينة فى نظر أحد حيال نفس الشخصية . وقد قال بيراندللو بلسان إحدى بطلاته فى روايته « شهوة الشرف » : « لاشك أن مدام أنيتا هى امرأة أخرى ، وليس هذا كل ما أقوله ، بل هى أخرى وأخرى وأخرى أيضاً ، بعدد الأشخاص الذين تعرفهم والذين يعرفونها »

وفى عام ١٩٢٢ ترك بيراندللو منصبه فى الجامعة ليتفرغ للأدب والمسرح فوضع روايات : حصان فى القمر ، ومهزلة الموت والفخ ، وأنت تضحك ، وزوجها ، وهنرى الرابع . وسافر برفقة فرقة تمثيلية ألفها إلى عواصم أوربا ومدنها ، وبمرور الزمن تراكمت عليه الأعمال بسبب إخراج رواياته على مسارح باريس وبرلين ولندن ونيويورك وبونس إيرس وموسكو ، وكان لا بد من أن يسافر إلى جميع هذه العواصم ليشرف بنفسه على إخراج رواياته

يقول ادريانو تلجر فى كتاب نشره عن فن بيراندللو المسرحى Studi sul teatro contemporaneo انه لم يتأثر فى فنه بالمؤثرات اللاتينية بل يدل أدبه على أنه تأثر بأدب الشمال » . وليس ذلك بغريب من كتاب الجنوب واللاتين ، والكثيرون منهم أمثال دانتزيو وجوزيف جيا كوزا قد تأثروا الى مدى بعيد بأدب ابسن وطريقته فى تحليل المشكلات الاجتماعية . والواقع أن ابسن سبق أن أقام فترة طويلة فى ايطاليا وكان له الفضل الأكبر فى تكوين مدرسة روائية مسرحية تمت الى فنه بأقوى الصلات

أضف الى ذلك أن بيراندللو برع فى رسم مآسى الحياة وفواجع المجتمع براعة قلما أتيحت لكاتب يعاصره . وهو يتلاعب بألفاظه تلاعبا يخلع عليها وعلى أسلوبه مسحة تتفق ونظرياته الفلسفية فى الانسان والروح . وليست دراماته سوى سرد ماضيه وتصوير نفسيته ، فهو من هذه الناحية لا يتحث الخيال ولا يتكلف التصوير ، ولكنه ممن يروحون عن أنفسهم بهذه الزفرات الموجعة

على أن الشىء الوحيد الذى يوجهه نقدة المسرح فى أوربا الى فن بيراندللو يتلخص فى نقطة واحدة ، هى أنه يجزىء شخصياته بما يؤدى الى هدم أساس الحياة والجنس البشرى ، فبعض الشخصيات التى يضعها وسط الخيال تؤدى الى ضياع الفكرة التى ينشدها الفن المسرحى لاسيما وهو يعد الخيال حقيقة لا خطأ . ولو اعتبرنا الخيال واقعياً لوجب علينا بطريق الاستنتاج أن نعتبر الخيال والواقع متساويين من حيث الحقيقة ، ومع كل فبيراندللو هو أكثر الكتاب الروائيين والمسرحيين انتاجا على الرغم من عدم تحوله عن نظريته التى يخضع لها فى كل ما يكتب

(يتبع) محمد أمين حسونة

القصص

دراما من اسخيلوس

٢ ـ المتضرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

— ٧ —

وصمت الأب دانوس ، وغمرت الفتيات موجة أثيرية من الفرح ، وتقدمن نحو الآلهة يصلين ويهزجن ، وينظمن الشكران عقودا من جمان دموعهن فيجملنه قلائد على جيد آرجوس ، ويدعون للملك بالمجد ، ولمدينته الخالدة بالنصر والعز والتأييد

وما يكدن يفرغن من صلاتهن وانشادهن ، حتى يثب أبوهن الشيخ المتهالك وثبة قوية ... ويقف على شرف من حرم الآلهة المقدس ، ثم يرسل في اليم المضطرب نظرات حائرة من عينيه الغائرتين ... كمن ينظر في كتاب الغيب ! !

— ياللهول ! أصمتن يا فتيات . . . أصمتن ! إن الزمن يسوق اليكن أحداثه فوق أعراف الثبج ... أنظرن ! ؟ إنها تقترب منا رويدا رويدا ! واحربا يا بناتي البائسات ؟ ! سفينة مصرية لا ريب في ذلك ! آه ! إنها من سفائن اللعين إيجبتوس ! لاشك ! لا شك ! ها هي ذي قلاعها وشراعها ! كابية كوجهه ، كاسفة كقلبه ... وي ! لقد طوى الملاحون الشراع ، وأعملوا سواعدهم في المجاديف ! إنها ما تفتأ تقترب ! ولكن ! لا عليكن يا فتيات ! لا عليكن أبدا ! إن لكن من هؤلاء الآلهة ذادةً ، وإن لكن منهم حماة أباة ! ويل لمن يستهزئ بأرباب الأولمب وأي ويل ؟ إن له لساعة تشيب من هولها النواصي ! لقد قدم الأوغاد يطلبونكن لمتعة الوحوش الذين لا يخشون الآلهة ولا يرعون حدود السماء ... لا .. لن يكون هذا أبداً ... »

فترتعد فرائص الفتيات ، وتقول كبراهن :

— « أبتاه ! إنا لنذوب من فَرَق يا أبتاه ! يا للفزع الأكبر ! ماذا أفاد سفرنا الطويل ، وغربتنا النازحة ؟ لطالما انتعلنا الدماء ، وضربنا غوارب الماء لنكون بنجوة ، فأين النجاء ! أبتاه ! إنا نذوب من فرق ... »

— « لتطمئن قلوبكن يا بناتي ، فلقد صمم الأرجيف البواسل أن يحاربوا إلى آخر قطرة من دمائهم من أجل قضيتكن ... » إهدأن ! اهدأن فهذه الآلهة تحميكن ! »

— « وهل يصبر الأرجيف المترفون على شياطين ايجبتوس يا أبتاه ؟ انظر ! لقد جمعوا الهاذم من محاربي مصر .... فمن لنا ! من لنا ! ؟ »

— « إنكن لن تلبثن أن ترين الأبطال القرنين في الحديد ، المقنعين في الزرد ، فلا تهلعن ! »

— « ولكن ... لتقف معنا يا أبتاه ! لا تتركنا ! فنحن أضعف من أن نشهد المعركة ! إن هؤلاء القادمين في السفينة الغبراء وحوش يحملون قلوباً خرساء ... ولن يثنيهم أن يشهدوا هذه الآلهة ، إذ هم ضواري ليبيا ، لا يعرفون قرباناً ولا مذبحاً ولا شريعة ، ولا يرهبون آلهة ولا يوقرون أوثاناً ! »

(يهم دانوس أن يغادر بناته ، فتقول كبراهن :)

— « أبتاه ! الى أين ؟ لن تغادرنا ... لن تغادرنا يا أبتاه »

— « تلبثن يا فتيات ولا ترهبن شيئاً ! إنهم لا بد لهم من وقت طويل حتى ترسو سفينتهم ، وينزلوا الى البر ويربطوا أمراسها في صخرة أو جذع . . . وقد لا يجدون مرفأ هنا فينقلعون الى مكان بعيد ... اهدأن ... لا تفزعن هكذا ! ما هذا الفرق ! تلبثن هنا حتى أعود بجيش الأرجيف أو بعدد من بيلاسجوس ! لقد وعد ! لقد وعد أن يحمينا ، وأيده الشعب كله في ذلك ..... تلبثن ..... لا تفزعن ..... ولا تذهب قلوبكن شعاعا ! »

(يخرج دانوس)

— ٨ —

وتهلع الفتيات ويتفزعن ، ويتضرعن الى الآلهة أن تنقذهن من ذلك البلاء المنتظر ، ويرسلن أنشودة طويلة حزينة ...

والسفينة تقترب !

وهى كلما اقتربت وجفت نفوسهن ، وخفقت قلوبهن ، وتبلبلت أفكارهن ، وتعلقن بالدمى المرمرية التى ... تثلجت حتى ما تحس ... وتحجرت حتى ما تعى ...

وغابت السفينة عن الأنظار فجأة .. ولكنها غابت لترسو ..

وطفق الفتيات يهزجن ... ويصلين ... ويبكين ...

— ٩ —

(يدخل القائد المصرى)

— « سو ... ش ... اصغين يا فتيات ! حذار ألا تطعن ! هلم الى سيف البحر ، فاركبن فى السفينة معنا ! أسرعن ! لا تقاومن ، وإلا حملناكن بالقوة ! أسرعن ، وى ! أنتن لا تتحركن ! أسرعن يافتيات ! إن لم تسرعن فستحل بكن نقمة ! سنشدكن من شعوركن ونجركن على الربى والأحجار حتى تدمى جسومكن ؛ الى البحر ... الى البحر ! »

(وينقض الجنود فيدفعون الفتيات فتقول كبراهن :)

— « ويل لكم أيها الضوارى وويل لأميركم ! ليت هذا الخضم ابتلعكم قبل أن تصلوا إلى هنا ! »

— « أنصح لكم يا فتيات ألا تقاومن ! إنكن ضعيفات ، وللقوة أن تصنع ماتشاء بكن ! دعن هذه المجالس حول هذه الآلهة التى لابد أنها تسخر منكن ! ستحملكن السفينة إلى أوطانكن فالحذار من المقاومة ! »

— « كلا ! لن نعود إلى جنة الأرض وجحيم القلوب ! الفردوس الذى يفيض كل سنة دماً يصهر العاطفة ويحرق الضلوع .... »

— « وبعد ، إننى مرغم إذن على استعمال القوة المطلقة التى يخولنيها الأمر الذى بيدى ! سأنتزعكن من مقاعدكن فى هذا الحرم ! سنجركن من شعوركن وخمركن ، ونبحر بكن برغمكن ! »

— « أنت تهرف كأن عيون السماء مغمضة عنك ! كأنك إذا كنت وسط اللجة لم تخش شيئاً ! أيها الكافر بالآلهة ! »

— « ولولن ماشئتن ! إدعين آلهتكن ، وسنرى هل تهرع لمعونتكن !! أبداً لن تهربن من يدى إيجبتوس أبداً ! إنه كالهواء مدرككن أنى وجهتن ! فولولن واصخبن ! وأعولن وابكين تماسيحكن ! »

— « ثم ماذا ؟ زدنا من وقاحتك ياابن النيل ! بذاء ! أيها المسخ ! ياربيب التماسيح ! ليتها تطعمت بك ، أو خللت ثناياها بلحمك قبل أن تجىء إلى هنا ! »

— « سو ... ش ... كفى ! حسبكن صراخاً ! إن لم ترضخن ... فشعوركن تحكم بيننا وبينكن ! سنجركن منها إلى السفينة يافتيات ! »

(يهم الجند أن يجروهن !)

— « أبانا ! أين أنت يا أبانا ! الغوث الغوث ! هذه المناكب المتلاطمة ! يا أمنا الأرض ! يا أبانا زيوس ! عونك يا آلهة ! ياسيد الأولمب ! نحن حفيدات يو !! أدركنا ! إدفع عنا هـــذه الضوارى ! »

— « عبثاً تستصرخن آلهتكن يا فتيات ؟ هى ليست لنا بآلهة ! فنحن لا نرهبها ولا نخشاها ! إنها لم تنشئنا ، ولم تخالط بقلوبنا ... نحن لا نباليها ! »

(يجرها من شعورها)

— ويلك أيها اللئيم ! يا أفعوان النيل ذا الأنياب ! أغرب فلست أخشى مثلك أيها الأرقم ! العون العون ياسيد الأولمب ! زيوس يا إلهى ! أدركنى أستحلفك بأمك ربة هذه الأرض ! »

— « أسرعن إلى السفينة إذن ! وإلا ! فستندك عظامكن فوق هذه الآطام ! أطعن يا فتيات فهو خير لكن ! »

— « يا سادة آرجوس ! أدركوننا ياأرجيف ! أيها الأوفياء ! »

— « بل سادة مصر ! أبناء إيجبتوس الكرماء ستلاقينهم وشيكا ياعذارى ! »

« يا ملك آرجوس الكريم ! الغوث ! لقد وعدتنا ! بيلاسجوس ! »

— « طالما تأبيتن ، فشعوركن تطيعنا ، وهى أطوع لنا منكن ! »

(يجرونهن على الحجارة بشدة فيدخل الملك)

— ١٠ —

— « وى ! من أولاء ! من الجاثمون خلال مملكة بيلاسجوس ، العاثون فى جنبات آرجوس ، غير المبالين بحرم الأرباب ! من أنتم يا هؤلاء ؟ هل هانت عليكم آرجوس فأنتم

تأفكون ... منها غير هيابين ! مالكم ولأولئك النسوة !
... ركون ألسنتكم بالفحش ، وتسلقونهن بالهُجْر ! ؟
... مالك لمدالة تحميهن أيها الحمق ! »

— « أى هجر وأى فحش ، ماذا صنعنا بهن ! »

يا للآلهة ؟ أنت أجنبي وقد نزلت بلاداً غير بلادك ، فكيف ضللت سبيل الحسنى ؟ ! »

— « أجل : ولكنني أجنبي قد عثر بضالته المنشودة ، ورجيته المفقودة

— « وأية قوة هنا تملك ، فتسندك ! »

— « أنا أحتكم الى هرمز ، حامى الغرباء ! »

— هرمز ؟ ! أمرك عجب وحق هرمز ؟ لقد دنست حرم الآلهة جميعا ! »

— « بل أنا أدين للنيل ... حابى ! ... [1] وأعبد آلهة النيل ! »

— « إذن فلا اعتبار لآلهة آرجوس عندك ؟ ! »

— « اذا كان منها ما يحول بيني وبين ضالتي ... وإلا ... فسأمضي بصيدى »

— « ارفع يدك عن الفتيات ... والا ... فسرعان ما تندم ولات حين مندم »

— « كأنى بك تشيع الكرم فى عباراتك ! »

— « لا كرامة ولا بشاشة لمن دنس الحرم المقدس ! »

— « قل ما شئت ، فالجلة الأمراء من أبناء ايجبتوس ...
آ ... أجل ... سأذكر لهم كل شيء »

— « لا يعنيني أن تنقل اليهم أى حديث عنى ! »

— « عجبا ! وكيف ؟ إذن نبئني ماذا أقول له كرسول منه اليك ! يبدو لى أن مارس [2] وحده سيحكم بيننا وبينك ، وعندها ، يعرفنا أينا من يندم ولات حين مندم ! هؤلاء بنات عمهن ، وقد جئت من أجلهن ، فكيف أعود بدونهن ! لم نسمح للغضب أن يروى دماءنا ! يا للأرواح البريئة ! ثم . من أنت ؟ »

— « غداً تعرف من أنا ، أنت والعصبة من رفاقك ! ولكن ... لن نسمح لك أن يصطحبك أولئك الفتيات إلا إذا رضين عن ذلك ... فلن يذهبن معك برغمهن ... إن مملكتنا كلها تؤيدهن وتؤازر حقهن ، ولن تسلمهن لقوة مهما عتت أو لجبروت مهما طغى ! إن لنا لقانوناً أقدس ، لم ينقش فى صخر ، ولم يسطر فى بردى ، فاسمعه من فمى ، واغرب من أمامى ! »

— « وى ! لقد ضمنت كلماتك اعلان الحرب علينا ! فمن لك برجال يضمنون لك النصر ؟ ! »

— « غدا يملأ الرجال السهل والجبل وشطآن هذا الخضم رجال ... مذاويد ... لم يدنسوا أفواههم بجعة الشعير ولا بنبيذ التمر ... أغرب يا أحمق ! » [1]

(ينسحب المصريون)

— ١١ —

« وأما أنتن يا عذارى فلا ترهبن شيئاً فى الوجود ما دمتن معنا وبين ظهرانينا ! إن آرجوليس كلها ستحميكن وستكافح عنكن ، فهلم الى قلعتها المتيدة ، إن لكل منكن فيها حصناً أمنع من النجم ، وآمن من السماء ! فَقَرْنَ فى غرفاتكن ثمة ، فهى أخلق بكن ، وأطيب الى نفوسكن ، وأروَح عليكن ... على الرحب والسعة يا عذارى ! إنى وشعبى نفديكن ، فقرن عيناً وطبن نفسا ... »

— « بوركت يا خدن الأرباب ، جزاك سيد الأرباب عنا خيرا ، وكتب لك ولمملكتك السلامة ، وجملك وجعلها بنجوة من غدرات الأيام ، وبدوات الزمان ! ... أيها الملك ! لقد غمرنا احسانك فنحن ندين لك بهذه الأرواح الفزعة ، والنفوس المروعة ، التى أذهبت عنها الشجو وجلوت ما بها من حزن ! أبانا أيها الملك ! إنه رجل شيخ حطمته الآلام ، وقامت على صدره الخطوب ... إيذن له يصحبنا الى منازلنا ، ويهيء لنا جوارنا ، ويتخير لنا أولياءنا ذلك أدنى الا يأسى أو يحزن ! (ويوجهن القول الى وصيفات الملك) أما أنتن أيها الوصيفات فرشّدْننا إلى حيث يدلكن أبونا ... وابشرن ! فسيهب كلا منكن أمَةً جزاء ما خدمتننا وسهرتن علينا »

— ١٢ —

(يدخل داثوس)

— « أحمدن الملك ، وصلين للآلهة يابناتى ! القرابين وإضحيات الحمر ، إنا ندين للأراجيف البواسل بأرواحنا ما فى ذلك من شك ، فقربن لآلهتهن القرابين ، وقدمن الأضحيات الثناء لهذا الملك الكريم يا فتيات ، فلقد أنقذنا من الذبح ونجانا من الفضيحة ... حمداً له ، حمداً له وشكراً ! !

(١) اله النيل (٢) اله الحرب

(١) هذا حديث يدل على ما كان لمصر من ذكر وصولة فى هذا الزمان !!

البريد الأدبي

تاريخ جديد لليهود

تثير المسألة اليهودية اليوم كثيراً من الاهتمام ، ولهذا يصدر اليوم كثير من الكتب التي تتعلق بالمسألة اليهودية أو تاريخ اليهود سواء بأقلام كتاب اليهودية أو غيرهم من الباحثين من مختلف الأمم . وقد صدر أخيراً تاريخ جديد لليهودية بقلم مؤرخ يهودي كبير هو الدكتور سيسيل روث C. Roth ، وعنوانه « تاريخ اليهود » ، ويقع الكتاب في مجلد واحد ، ومع ذلك يقدم الينا صورة شاملة واضحة من تاريخ اليهودية منذ أقدم العصور إلى يومنا ، وقد صدر من قبل كثير من اريخ الجامعة عن اليهودية ، مثل كتاب إيفالد وكتاب بيتر بير المؤرخين الألمانيين ، وكتاب ميلمان المؤرخ الانكليزي ، ولكن هذه المصنفات القوية الجامعة ينقصها اليوم طابع الجدة الذي يطبع الكتب المعاصرة ، ذلك أن المسألة اليهودية قد جازت منذ منتصف القرن الماضي إلى يومنا أطوارا كثيرة هامة ؛ وكتاب الدكتور روث يمتاز بهذا الطابع الحدث ، والدكتور روث أستاذ موضوعه ، فهو من أكابر مؤرخي اليهودية وكتابها ، وقد كتب عدة مباحث عن تاريخ اليهودية في العصور الوسطى في السلسلة التي أصدرتها جامعة كامبردج عن تاريخ العصور الوسطى ، وفي دائرة المعارف اليهودية ؛ وكتب أيضاً تاريخ اليهود المتنصرين في اسبانيا وتاريخ اليهود في البندقية وعدة كتب ومباحث أخرى

ويقدم الينا الدكتور روث صورة واضحة جامعة من تاريخ الشعب اليهودي ؛ ويوضح لنا كيف أن اليهودي خلق منذ أقدم العصور « جوالا » يضرب في الآفاق ، وأنه يصح أن يسمى بحق « اليهودي التائه » ؛ ويرى الدكتور روث أن اضطهاد اليهودية منذ تفرقها يتخذ في جميع العصور وفي جميع الأمم أشكالاً وضروباً متماثلة ؛ ففي ظل الدول البربرية والنصرانية والاسلامية ، وفي الشرق والغرب ، نرى نفس الاجراءات والأساليب تتخذ لمطاردة اليهودية : القتل والتشريد والمصادرة ، وإلى يومنا نرى نفس الصورة المروعة ، وقد تزدهر اليهودية أحياناً في فترات قليلة نادرة ويتبوأ رجالها مناصب ممتازة في السياسة والمالية وفي العلوم والآداب ، ولكن يد المطاردة لا تلبث أن تسحقها ، ويحاول الدكتور روث أن يوضح لنا كيف أن اليهودية حصرت معظم اهتمامها في الشؤون المالية ، وكيف أن اليهودي انتهى بفعل الزمن إلى التخصص في الاتجار بالمال والربا ، ذلك أن اليهودي كان محروماً طوال العصور الوسطى من مزاولة أية مهنة أو حرفة أخرى ، ولم يترك له سوى احتراف المتاجرة بالمال والربا المقوت ؛ ومن ثم كانت نشأة اليهودية المالية وتقدمها بمضي الزمن في هذا الميدان ؛ وقد كانت اليهودية منذ العصور الوسطى ملاذ المعاملات المالية والصيرفية

ومما يلفت النظر في كتاب الدكتور روث رأيه في صلب المسيح ، وكيف أن المسئول عن توقيع هذه العقوبة عليه هم الرومانيون لا اليهود ؛ وكيف أن اليهود كانوا يودون إطلاقه ؛

أما أنتن ، فخذن أهبتكن ... الى قلعة المدينة وذؤابة شرف آرجوس ! ولي عنكن وصاة أرجو ألا تخيب ، تلك أن تضربن بخمركن على جيوبكن ، ولا تبدين من معالم فتونكن ، ما تشغلن به قلوب الرجال ، وتبلبلان بيعضه أفئدة الناس ، ولا تنسين أننا في كنفهم وارفون في ظلالهم ... فالشرف الشرف يا بناتي ! والعصمة العصمة ! ! حتى نجتاز شوارع آرجوس ، فاغضضن من أبصاركن إذا ساورتكن الجماهير ، وأحدقت بكن الجماعات ؛ ولا تبادلن أحدا نظرة ... لا تدرى إلا الآلهة ما بعدها ... »

ويلتف العذارى بأبيهن يعطينه موثقهن ، ثم يأخذن في انشادهن الحلو ، وتغنيهن الجميل ، وقد انقسمن الى جماعتين ، هذه تغني ... وهذه ترجع ... وتمتلىء الأرجاء شدوا و ... شجوا ... وموسيقى

دريني خشبة

(البقية — وهي خلاصة الدرامتين المفقودتين — في العدد القادم)

وهذا الأ... ف ما اصطلح عليه معظم مؤرخي النصرانية من ... دهم الذين شددوا في صلبه في حين أن الرومانيين كانوا ... رون إطلاقه

ويتتبع الدكتور روث تاريخ اليهودية ومسائلها حتى يومنا . وكتابه قيم جداً من الوجهة العلمية ؛ وأسلوبه قوي واضح ؛ ولا ريب أنه سيثير اهتمام كل مشتغل بالمسألة اليهودية أو تاريخ الشعب اليهودي

كتاب عن بونابرت في مصر

يعتبر مسيو فرانسوا شارل رو السفير الفرنسي السابق من خاصة الباحثين في تاريخ نابليون وفي تحليل شخصيته ومواهبه ؛ وقد خص الحملة الفرنسية المصرية بكثير من مباحثه وتحقيقاته ، وآخر ما كتب في هذا الموضوع كتاباً عنوانه « بونابرت حاكم مصر « Bonaparte Gouverneur d'Egypte » ، وفيه يحلل شخصية بونابرت ونفسيته حين إعداد الحملة الفرنسية ؛ ويرى مسيو شارل رو أن نابليون لم يكن يومئذ الجندي العظيم فقط ، ولكنه كان أيضاً أديباً وصحفياً ، يقدر ما للدعوة والرأي العام من قوة ، ولذلك لم يكتف بأن يزود جيشه بالمدافع والذخائر ، بل رأى فوق ذلك أن يزوده بطائفة كبيرة من العلماء والفنيين وأن يحمل معه مطبعة كاملة . وفي ذلك ما يدل على أن نابليون كان يتمتع بعقلية عصرية لا تقل في حداثتها وابتكارها عن عقلية عصرنا

ويقول مسيو شارل رو ان نابليون كان يقصد الهند عن طريق مصر . وانه كان يقدر للذهاب والاياب إلى فرنسا ستة أعوام . وكان يقول ان عمري تسعة وعشرون عاما فقط ، وهذا ليس بعمر ؛ وسيكون عمري عند العودة خمسة وثلاثين » ولم يكن نابليون تحدوه حين قدم إلى مصر أية عواطف دينية . أجل جاء الفرنسيون إلى مصر أيام الحروب الصليبية ليقاتلوا الهلال ويسحقوا الاسلام ، ولكن نابليون جاء إلى مصر ليحقق مشروعاً سياسيا واستعماريا ضخما ، ولم يفته عند مقدمه أن يصدر (عن طريق مطبعته) منشوراً إلى المصريين يقول فيه انه وجنده مثلهم يعبدون الله ، وانه عاقب البابا ونهب مالطه وفرسانها المتعصبين ، وانه لم يأت ليسحق الاسلام وإنما أتى بالعكس ليعيد إليه مجده ؛ وكان نابليون طول إقامته بمصر يتظاهر دائماً باحترام الشعائر والعادات الدينية وتكريم العلماء ومصادقتهم

بيد أن هذا الحلم الجميل قد انهار بسرعة ، ولم يلبث بونابرت أن غادر مصر شبه هارب ؛ وقد عاد إلى فرنسا بعد أن حنكته تجارب عديدة ؛ ولم يكن عدوه شعبا أو مجتمعا وإنما كان عدوه التعصب ؛ وقد ألفى مصر ، أم العلوم والفنون منذ العصور الغابرة في سبات عميق ، وألفاها فريسة للترك ، ولم يبق في واديها النضر غير أرض مجدبة ينتهبها من استطاع . بيد أنه إذا كانت الحملة العسكرية قد أخفقت في تحقيق أغراضها ، فان الحملة العلمية قد حققت أعظم الثمار ؛ وقد درس العلماء الفرنسيون كل ما في مصر من طبيعة ومن حيوان ونبات ، ودرسوا أحوالها الاجتماعية وأمراضها المتوطنة ، وأنشأوا المجمع العلمي بالقاهرة ؛ وكان نابليون يرهق علماءه بمختلف الأسئلة : هل يمكن زرع القطن في مصر ؟ وهل يمكن غرس الكروم ؟ وهل تقام طواحين الهواء ؟ وهل يمكن تحسين خبز الفلاح ؟

كل ذلك يعرضه مسيو شارل رو في كتابه الجديد بأسلوب ساحر يجمع بين دقة البحث واتزان الحكم ، ومتاع العرض . ومن المحقق أن كتابه يعتبر ثروة جديدة في مكتبة الحملة الفرنسية

رسائل الشاعر الروسي بوشكين

تستعد دوائر الشعر والأدب للاحتفال في العام القادم بالعيد المئوي لوفاة الشاعر الروسي الكبير « بوشكين » وقد كان بوشكين من أعظم شعراء القرن التاسع عشر ، وكانت الروح الأوربية اللاتينية تغلب لديه على الروح الاسيوية الروسية ؛ بيد أنه لم يترجم كثيراً إلى اللغات الغربية وبخاصة إلى الفرنسية كمواطنيه ومعاصريه الأكابر مثل جوجول وتورجنيف ودستويفسكي . ويرجع ذلك إلى قوة شعره التي يصعب اخراجها بلغة أخرى . وأعظم مؤلفات بوشكين هي بلا ريب قصته الشعرية « أوجين أونجين » ، وهي دراسة بديعة للعادات والأخلاق الروسية في القرن التاسع عشر

وكان بوشكين رجلا غريب الأطوار والنزعات ، يضطرم بعواطف غريبة . ومما يذكر أنه حينما اعتزم الزواج في سنة ١٨٢٦ ، خطب فتيات عدة قبل أن يلتقي بالحسناء ناتالي جونتشاروف ؛ وكانت تلك الفترة أكثر فترات حياته اضطرابا

ويعتزم الكاتب الروسي سرج ايفار بهذه المناسبة أن ينشر رسائل الشاعر بوشكين إلى حبيبته ناتالي بنصها الأصلي ، وأن

يعلق عليها وأن يوضح ما غمض منها ؛ وهـذه الخطابات تصور لنا حياة الشاعر في هذه الفترة أحسن تصوير ، وهي فترة حافلة بمختلف الحوادث والمفاجآت وضروب السعادة الغرامية . بيد أن هذا الزواج السعيد لم يلبث أن انتهى بفاجعة مؤلمة . ذلك ان بوشكين قتل مدافعاً عن شرف زوجه ناتاليا في مبارزة أصيب فيها بجراح مميتة . وسيضم هـذا المجلد الذي يحتوي على رسائل بوشكين ترجمة وافية لحياة ناتاليا بقلم المسيو هوفمان ، وهي ترجمة مؤثرة شائقة

وفاة كاتب ألماني كبير

من أنباء برلين أن الشاعر والكاتب الألماني الكبير إدوارد شـتوكن E: Stuchen قد توفي في الحادية والسبعين من عمره ، وقد كان شتوكن شاعراً من الجيل القديم أعني من شعراء الأمبراطورية ، وله شعر كثير يمتاز بقوته ورصانته ، وكان أيضاً باحثاً كبيراً يؤثر القصـة العلمية والتاريخية باهتمامه ، واشتهر شتوكن بنوع خاص بالابداع في القصة التاريخية ، وأشهر قصصه من ذلك الطراز « الفاتحون » Die Eroberer ، وهي قصة تاريخية رائعة في مجلدين كبيرين ، وتدور حوادثها حول فتح المكسيك على يد الاسبان في أوائل القرن السادس عشر ؛ وبطل القصة البارز هو فاتح المـكسيك هرناندو كورتيز ، وبطلتها هي دونا مارينا الفتاة الهندية الشهيرة التي غدت خليلة الفاتح ومهدت للاسبان كثيراً من مصاعب الفتح ، ويصف شتوكن حوادث هذا الفتح الشهير وصفاً قوياً شائقاً ، ويستعرض أحوال الهنود الحمر ومدنيتهم وعاداتهم في فصـول ممتعة تقوم على الحقائق التاريخية والعلمية الثابتة ؛ ويبدع بنوع خاص في وصف الوقائع الدموية التي جرت بين الهنود والاسبان ، ومناظر الضحايا البشرية التي كان ينظمها الهنود للتقرب من الآلهة ؛ ويمزج شتوكن هذه الحوادث والمناظر التاريخية المروعة بلمحات من الخيال الساحر والعرض الشائق

وقد أحرز شتوكن برواية « الفاتحون » شهرة عظيمة ، وما زالت تعتبر من أعظم ما أخرجت القصة الألمانية المعاصرة ، ولشتوكن عدة قصص وكتب نقدية أخرى

وكان شـتوكن مدى أعوام طويلة عضواً في الأكادمية الألمانية للأدب القصصي

كتاب جديد لميترلنك

صـــدر أخيراً كتاب جديد للـكاتب البلجيكي الـكبير ميترلنك عنوانه « المرملة » Le Sablier ؛ ومن الصعب أن نحدد موضوع الـكتاب ؛ بيـد أنه كمعظم كتب ميترلنك مزيج من الاسـتعراض والنقد والفلسفة ، ويكتب ميترلنك عادة بروح ثورية ، ولـكنه يبدو في كتابه الأخير أكثر هدوءا ؛ وهو يحمل في الفصل الذي يخصصه لأحزان الأسرة الملوكية البلجيكية على القدر الجائر ، ولـكنه يثور في وقار ؛ ويحدثنا ميترلنك عن ضعف الآثار المترتبـة على التعليم الديني ، ويرى في فلسفة باسكال ضعفاً ولا سيما في نظريته الخاصـة « بالأسطورة التي لا تقارن » إشارة إلى النصرانية ، ثم يحدثنا بعد ذلك عن الموت ، ويرى أنه ليس عدواً للانسانية بالقدر الذي تصوره روعته وآثاره المحزنة . وذلك أن الموت هو قانون الانسانية كلها ، وهذا التضامن في تلقي محنة الموت من البشر جميعاً يسبغ على الموت صورة محبوبة . وربما استطاع الانسان أن يوفر على نفسه كثيراً من ضروب الألم والحزن إذا هو نبذ الحلم المسـتحيل « بأنه ذاهب ان يكون له ذهاب » . وما زال الانسان من حيث التضامن أقل شأناً من بعض الحشرات كالنمل مثلا ، فلو أن الانسان أدرك عاطفة التضامن على حقيقتها ، لغدا كل إنسان « إنسانية بأسرها »

حول ترجمة السخاوي أيضا

نشرت الرسالة في العدد ١٤٣ ، وفي هذا المـكان رد الأستاذ عنان على ما لاحظه أديب من قراء الرسالة على ما ورد في ترجمته للحافظ السخاوي بخصوص كتابي « تحفـــة الأحباب » و « الاعلان بالتوبيخ » ، وقد تلقينا في هذا الوضوع الـكلمتين الآتيتين :

— ١ —

اطلعت في العدد ١٤٢ من « الرسالة » الغراء على ما كتبه الأديب الفاضل السيد محمود عساف أبو الشباب مصححاً نسبة كتاب (تحفة الأحباب في الخطط والمزارات) إلى محمد بن أحمد الحنفي السخاوي الذي فرغ من تأليفه عام ٩٥٦ ، لا إلى محمد ابن عبد الرحمن السخاوي الشافعي المتوفى سنة ٩٠٢ مستدلا بما ذكره صاحب طبقات المالـكية ، وبعدم عد السخاوي (محمد

ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢) ذلك الكتاب فى جريدة مؤلفاته التى سردها بالتفصيل مرتبة مبوبة فى ترجمته لنفسه من (الضوء اللامع ـ الجزء الثامن)، ويمكن أن يستدل لذلك بعدم احالة السخاوى فى تراجم (الضوء اللامع) على كتاب له فى المزارات مع كثرة احالته على مؤلفاته فى أكثر التراجم

ولكن الأديب أبا الشباب تسرع فى نقل عبارة الأستاذ المؤرخ السيد محمد عبد الله عنان، فقال فى ختام كلمته: (فاحقاقا للحقيقة، وصونا لمعالم التاريخ نأمل أن يجزم رجال التاريخ أن الأثرين اللذين عناهما الأستاذ عنان ليسا للامام السخاوى صاحب الضوء اللامع)...

لأن عبارة الأستاذ عنان فى العدد ١٠٤ هى: (ونجد أخيراً فى تراث السخاوى أثرين من نوع خاص ولهما أهمية خاصة، أولهما كتاب تحفة الأحباب.... وأما الثانى فهو كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ...)

وليس من شك فى أن (الأثر الثانى) هو من مؤلفات السخاوى إذ ذكره فى صدر مؤلفاته التاريخية، والمؤرخون مجمعون على ذلك، بل الكتاب نفسه ينادى بذلك فى كل باب من أبوابه، فالأستاذ عنان أضاف الى مؤلفات السخاوى صاحب الضوء كتاباً لم يكن من تصنيفه (وله سلف فى هذه النسبة الخاطئة)، والأديب أبو الشباب نفى من جريدة مؤلفات السخاوى كتاباً أجمعوا على أنه من تأليفه (وليس له سلف فى ذلك) جزى الله الجميع خيراً. من قراء الرسالة

— ٢ —

قرأت فى عدد الرسالة الأسبق كلمة الأستاذ محمود عساف أبو الشباب — عن السخاوى مؤلف الضوء اللامع والسخاوى الآخر مؤلف تحفة الأحباب فى المزارات، ولهذه المناسبة أذكر أن كتاب تحفة الأحباب الذى طبع على هامش كتاب نفح الطيب — طبعة سقيمة — ليس للسخاوى الحافظ حقيقة، بل هو لسخاوى آخر كان معاصراً له وتأخر موته عنه، وثمة دلائل كثيرة تؤيد هذه النظرية، وقد لا يتسع المقام لسردها فى هذه المجالة، بيد أنى أقول — إن الأستاذ حسن قاسم «مؤلف كتاب المزارات المصرية والآثار الاسلامية فى مصر والقاهرة المعزية»، الذى يطبع الآن فى القاهرة — والذى لى حظ الشرف بالاشتراك فيه — قد أعلن أنه وفى هذا الموضوع حقه وأعطاه من العناية ما يستحق، وقد تلمست من ترددى على دار الكتب المصرية — أن كثيراً من موظفيها يعلم ذلك، وقد يكون قسم التغيير العربى أو قسم الفهارس قام بتصحيح ذلك لخدمة التاريخ، وأذكر مما قاله الأستاذ قاسم عن السخاوى مؤلف التحفة، أنه على نور الدين حنفى المذهب، ألف هذا الكتاب من الكواكب السيارة لابن الزيات — الذى طبع فى دار الكتب — ومن مصباح الدياجى لمجد الدين بن الناسخ المعروف بابن عين الفضلاء المحفوظ منه نسخة بدار الكتب وأصلها لعلى مبارك باشا، وقد رأيناه كثيراً ما ينقل عنها فى خططه — ومنها نسخة — فى لجنة حفظ الآثار العربية

ويذكر أيضاً أن الأجهورى اقتبس كتابه هذا فى مؤلف له «سماه مزارات الأشراف المدفونين بمصر» وترجم له فى خاتمته، وهذا المصدر محفوظ منه نسخته الخطية بمكتبة الأستاذ قاسم..

الآنسة فردوس عبد العزيز مظهر

بعثة الجامعة المصرية الى اليمن

غادر القاهرة إلى اليمن بعثة الجامعة المصرية، وهى مؤلفة من الدكتور سليمان حزين وسيقوم بدراسة حفائر ما قبل التاريخ، والأستاذ خليل يحيى نامى ويبحث فى النقوش والمخطوطات واللهجات الخاصة باليمن، وهما من أعضاء هيئة التدريس لكلية الآداب، والأستاذ مصرى شكرى وسيقوم بأبحاث فى الجيولوجيا، والأستاذ محمد توفيق العربى ويبحث فى الحشرات بتلك البلاد، وهما من أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم

وتستغرق مدة إقامة البعثة باليمن ستة أشهر. وقد قررت الجامعة منح حضراتهم مكافأة قدرها ١٨٠٠ ج تلقاء أبحاثهم ودراساتهم وقد تزاد تلك المكافأة ٢٠٠ جنيه

عدد الرسالة الممتاز

سيصدر عدد الرسالة الممتاز فى يوم الاثنين الآتى ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦ فى نحو ٩٠ صفحة على ما تعوده قراء الرسالة من سمو التحرير وحسن الاختيار وجمال الطبع

زراعة مصر

صناعة مصر

نجاح مصر

تتوفر جميعاً فى منتجات

شركة مصر للغزل والنسج

الحائزة على جائزة التفوق

من المعرض الزراعى الصناعى العام

جربوا منسوجاتها لتتحققوا من جودتها ومتانتها

واشتروا ما يلزمكم من محلات

شركة بيع المصنوعات المصرية

بالقطر المصرى وتجار المانيفاتورة

وزارة المعارف العمومية

اعلان

ظهر الجزء الثانى من مجلة مجمع اللغة العربية الملكى وثمنه ٨٠ مليماً وأجرة البريد ٢٠ مليما ويمكن الحصول عليه من المخزن العامة للوزارة بدرب الجماميز بالقاهرة ومن مخازنها الفرعية بالإسكندرية وطنطا والزقازيق وبنى سويف وأسيوط ويخصم $\frac{1}{4}$ من الثمن عند شراء خمسين نسخة فأكثر .

إنه فى يوم السبت ١٨ أبريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بشارع أبجه هانم منزل نمرة ٧ بشبرا بمصر سيباع علنا بالمزاد العلنى طقم جلوس وراديو ملك رزق أفندى جرجس المدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا تنفيذاً للحكم نمرة ٢١٩ سنة ١٩٣٥ كلى الزقازيق وفاء لسداد مبلغ ٧ ج و ١٠٠ م لغاية أجرة النشر منه ٦ ج و ٣٠٠ م لطالبة البيع و ٨٠٠ م لخزينة المحكمة بخلاف ما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب الست شفيقة عوض الله المقيمة ببندر شبين القناطر ومنتدب للدفاع عنها حضرة الأستاذ ناشد أفندى عبد المسيح المحامى بالزقازيق . فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم السبت ١٨ أبريل سنة ٩٣٦ من الساعة ٦ صباحا لغاية المساء واليوم التالى إذا لزم الحال بناحية بنى موسى تبع ابشنا مركز بنى سويف وفى يوم الأحد ٢٩ منه بسوق بلفيا مركز بنى سويف من الساعة ٧ صباحا لغاية المساء سيباع علنا المنقولات وخلايات النحل وعدتى نول النسيج الواضح كل هذا بمحضر الحجز ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ تملك عبد الوهاب متولى النساج من الناحية المذكورة نفاذا للحكم نمرة ٦٤١٠ جزئى بنى سويف سنة ٩٣٥ وفاء لمبلغ ٢٤٦ قرش صاغ كطالب جاد أحمد سالم من عزبة أبو القاسم تبع الكوم الأحمر مركز بنى سويف فعلى راغب الشراء الحضور



أيها المرضى بالبول السكرى
لا يجوز لكم أن تيأسوا من مرضكم أو تهملوه
قبل أن تجربوا الدواء الجديد
أنتيكوميان !
هذا الدواء محضر بناء على أحدث الأبحاث
العلمية الخاصة بهذا المرض.
اطلبوا البيانات اللازمة مجانا من
جلانهورمين . صندوق بوستة ٢١٠٥ مصر

محكمة كفر الشيخ الأهلية

اعلان بيع نشرة ثالثة فى القضية

نمرة ١٢٧٣ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الثلاثاء ٥ مايو سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بسراى المحكمة سيصير إشهار مزاد العقار الآتى بيانه بعد ملك محمد ابرهيم المنوفى المدين فى مواجهة النيابة وفاء لمطلوب السيدتين نفوسه هانم نجيب وأمينه هانم نجيب من مصر ومحلهما المختار مكتب حضرة الأستاذ ناشد أفندى عبد المسيح المحامى وفاء لمبلغ وقدره ٤٥١ ج و٢٩٥م بخلاف ما يستجد وذلك بناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة ومسجل بمحكمة طنطا الأهلية نمرة ٧٦٠ فى ١٨ مايو سنة ١٩٣٥ صحيفة ٢٨٨ و ٢٨٩ جزء ثان سنة ٩٣٥ بثمن أساسى قدره ٢٠٤٨ قرشا بعد تنقيص الخمس بجلسة ١٧ مارس سنة ١٩٣٦

١٥ ط أطيان زراعية ملكه ميراثا عن والده المرحوم ابراهيم سليمان المنوفى مشاعا فى ٥ ف مشاعا فى ١٠ ف بناحية الكوم الطويل مركز كفر الشيخ بحوض الممة الغربى نمرة ٥٠ ص نمرة ١ مكلفه نمرة ٢٧٦ سنة ١٩٣٤ من بحرى أطيان بدوى محمد وشرقى أطيان محمود ابراهيم خليل وغربى السيد أفندى سليمان وقبلى أطيان بدوى محمد بك

٣ ط من ٢٤ ط فى منزل كائن بناحية أبو بدوى مساحته ١٣ ر ٤٢٨ متر مبنى بالطوب الأخضر يحتوى على عشر أود وثلاث صالات كامل الأبواب والشبابيك والسقوف من بحرى شارع عمومى وبه باب المنزل وغربى دائر الناحية العمومى وفضاء تابع للمنزل وشرقى شارع عمومى وبه باب المنزل وباب محل تجارة وقبلى بدوى بك محمد وآخرين والناحية تابعة لناحية الكوم الطويل مركز كفر الشيخ غربية على أن يباع بسائر الشروط وجميع الأوراق مودعة بدوسية القضية لمن يريد الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور

كاتب البيوع

فى يوم الثلاثاء ٢١ ابريل سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا إلى ما بعدها بناحية المطيعه مركز أسيوط والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا محصول زراعة ١٢ ط و ١ ف مزرعة فول ملك فراج عمار فراج بناحية المطيعه وفاء لمبلغ ٨٣٣ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وأجرة النشر نفاذا للحكم ن ٥٦٠٦ سنة ١٩٣٢ مدنى جزئى أسيوط كطلب محمد أحمد محمد من الشغبه مركز أسيوط فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأربعاء ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا وما بعدها بناحية قراقص مركز دمنهور وفى يوم الاثنين ٢٧ ابريل سنة ١٩٣٦ بميدان التوبة بدمنهور سيباع علنا عدد ١٥ قطعة منقولات مبينة بمحضر الحجز ١١ مارس سنة ١٩٣٦ نفاذا للحكم ن ١٠٢٢ سنة ٩٣٦ مدنى دمنهور وهى تعلق حنفى محمد مكرم المقيم بالناحية المذكورة وفاء لمبلغ ٦٥٦ قرش صاغ بخلاف مايستجد كطلب مصطفى مصطفى الشرقاوى وعائشة عامر دعلوبة المقيمين بقراقص

فعلى راغب الشراء الحضور